

الظباء

تأليف: هنينغ مانكل
ترجمة وتقديم: أ. سعيد بوكرامي
المراجعة: أ. أحمد الويزي
الدراسة النقدية: أ.د. نادية كامل

العدد 375
مارس 2015
تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



في هذا العدد

الظبـاء

يشكل الخوف من السود حبكة مسرحية «الظباء» للكاتب السويدي هنينغ مانكل، وأساسها الدرامـي، بطلها لارس رون إكمان الموظف السامي الذي يعمل في شركة عظمى، أرسلته الحكومة السويدية بشراكة مع البنك الدولي إلى أفريقيا لحفر خمسمائة بئر. يكتب الرجل يوميا تقارير إلى إدارته وإلى البنك الدولي، يكتب فيها أحيانا عن حقيقة الأوضاع وصعوبة مهمته.

رافقتـه في هذه المهمة زوجته إليزابيث التي تعاني من اضطرابات نفسية، لأنها اضطرت إلى ترك أبنائها في السويد، يوجه مانكل انتقادات لاذعة إلى ثلاث جهات متحكمة في انهيار الأوضاع الاجتماعية والإنسانية في أفريقيا.

عدم توافق بعض التدابير مع الظروف الأفريقية المحلية، وعدم كفاءة بعض المسيرين الذين لا يدركـون الواقع الأفريقي على حقيقته، ثم السياسة الليبرالية التي تكون خلفية أيديولوجية للمساعدات المقدمة، لهذا السبب بالتحديد يدفع مانكل الطبيعة الأفريقية للانتقام.

تقتحـم خشبة المسرح لتأخذ بثأرها. إنها تقضـم المساحة البصرية والصوتية للقبو بصمت حتى أن أرضية البيت المحصن تتحول إلى عشب وأحراش. تهاجم الشخصيات وتزرع فيها الذعر، بل إننا نشهد في النهاية أن النمل أيضا سيهاجم. وهذا المشهد يرمز علانية إلى أن أفريقيا تطرد الغربيين من أراضيها وترفضهم. وسيكون السبب في موتهم.

نتبـين أن مانـكل يعتقد أن الغرب الذي يقدم المساعدات للأفارقـة ليس من أجل أن يعيشوا وإنمـا لكي يموتوا. لأن مساعدات التنمية لا تحـل مشاكلهم الهيكلية بل تصرف لتنمية الفساد الإداري والاستغلال الاقتصادي.

يرى مانكل أيضا أن المؤسسات الرسمية الحكومية الإنمائية في أفريقيا غالبا ما تحجب واقع الحال في أفريقيا، وبالتالي فهي تسهم في نشر سلسلة من الأكاذيب التي يتواطأ حولها الجميع. ومن الضحية طبعا؟ الشعوب الأفريقية الغارقة في المديونية والفقر والأوبئة والجهل.

ISBN ٩٧٨-٩٩٩٠٦-٠-٤٤٦-٧
رقم الإيداع: (٢٠١٥/١٢٥)



الظباء

تأليف: هنينغ مانكل

ترجمة وتقديم: أ. سعيد بوكرامي

المراجعة: أ. أحمد الويزي

الدراسة النقدية: أ. د. نادية كامل

من
المسرح العالمي

تصدر كل شهرين عن
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
دولة الكويت

almasrahalaalami@yahoo.com
almasrahalaalami@gmail.com

www.kuwaitculture.org

الظباء

ISBN ٩٧٨-٩٩٩٠٦-٠٠-٤٤١-٧
رقم الإيداع: (٢٠١٥/١٢٥)

الـظـبــاء

تأليف: هنينـغ مانكل

ترجمة وتقديم: أ. سعيد بوكرامي

المراجعة: أ. أحمد الويزي

الدراسة النقدية: أ. د. نادية كامل

العنوان الأصلي للمسرحية

Antilopes

De Henning Mankell

الفهرس

* * *

مقدمة المترجم

- ولد هنينغ مانكل في ٣ فبراير ١٩٤٨ بالسويد.
- اشـــتهر برواياته البوليسية التي بيعت منها ملايين النسخ عبر أنحاء العالم. حصل على جوائز أدبية عديدة.
- عـــرف أيضا بمواقفه الإنســـانية والتزامه تجاه القضايا الإنســـانية العالمية.
- منذ ســـنوات وهـــب المنظمات المعتنية بتحســـين أوضاع ســـكان الموزمبيق ستة عشر مليون كورونة سويدية.
- كما شارك بشخصه وماله ســـنة ٢٠١٠ في أسطول الحرية واعتقل من طرف الكيان الصهيوني. كتب عن تلك التجربة كتابا يعتبر اليوم إدانة مدوية للغطرسة الإسرائيلية.
- اهتم مانكل بالمســـرح منذ كان في الســـابعة عشر من خلال تأليف مسرحيات وإخراجها.
- يتوفر أرشيفه الأدبي على عدد مهم من النصوص المسرحية. نذكر منها على وجه الخصوص المسرحيات التالية:
  - » الظباء
  - » الظلمات
  - » قاتل بلا ضمير



(١)

يمكن منذ البداية اعتبار مسرحية الظباء بيانا مساندا لأوضاع الأفارقة المتردية ودفاعا عن حقهم في العيش الكريم.

تقدم المسرحية شخصية موظف يعمل لصالح منظمة إنسانية، تحفر الآبار. أشرف على التقاعد وينتظر رفقة زوجته، خلال الليلة الأخيرة، وصول من يعوضه في مهمته. في هذه الليلة ستدور أطوار المسرحية ومشاهدها.

الزوجان يقطنان بيتا محصنا، منذ أحد عشر عاما، لكنهما لأول مرة يسمعان أصوات الليل الأفريقي المحملة بأطياف الإنسان والحيوان. وهم يقتحمون عليهم البيت من لا مكان.

لا يملك الزوجان المتعبان والقلقان غير الرضوخ للأمر الواقع.

تعرض المسرحية حصيلة تاريخ البيض في البلدان الأفريقية التي لم يفهموها البتة.

وتعالج أيضا، وبطريقة نقدية عقلية الأوروبيين المتعالية والمستغلة التي للأسف لم تتغير كثيرا.

(٢)

مكان المسرحية: أفريقيا

الشخصيات:

الرجل/ لارس رون إكمان

المرأة/ إليزابيث

لوندين الخليفة /الموظف الذي سيخلف لارس رون إكمان في مهامه.

الشـــخصيات الأفريقية اللامرئية: نســـمعها ولا نراهـــا. كدلالة على أن البيـــض يتعامون عن الحقيقة التي يعرفونها حق المعرفة، لكنهم يتجاهلونها لصالح البراغماتية التي تسود سلوكهم ومعاملاتهم.

(٣)

تعتبر الظباء رمزا للحرية والسرعة والرشاقة، لكن أيضا للهشاشة، فهي فريسة سهلة للحيوانات المفترسة.

الشـــخصيات الرئيسية في المســـرحية هم الأفارقة، لكننا لا نراهم لأن مانكل جعلهم لامرئيين. يقول مانكل كخلفية لمســـرحيته: (لم أحضر إلى أفريقيا من أجل دواع رومانسية، فلا شيء فردوسيا في أفريقيا على العكس فالناس يوميا تموت هنا...).

تحتوي مسرحية الظباء على عناصر تنتمي إلى الأسلوب البوليسي الذي برع فيه مانكل من خلال رواياته البوليسية الشهيرة.

في المشـــهد الأول يقدم مانكل علامات مصفاة، كـــدوال تتقاطر رويدا رويدا بعشـــوائية أحيانا، لكنها كفيلة بإثارة المتفرج وتشويقه لمتابعة أطوار المســـرحية. مثلا عندما تقول المرأة: (متى سنتحدث عن حقيقة ما جرى)



وتتكرر مرات كثيرة. محدثة أفق انتظار زخم بالإشارات للمتفرج، كي ينظمها، مستخلصا دلالاتها. وهذا سيساعده على رفع الحجاب عن المعاني الكبرى للمشاهد المعروضة أمامه.

ومع ذلك فالمتفرج لا يشفي غليله في المشهد الأول الذي يدور بين المرأة والرجل اللذين يستمران في معارضة بعضهما أو تعمد فقدان الذاكرة بصفة كلية، ما يجعل كل معلومة مهما كانت واقعية مجرد وهم.

ونمثل لذلك بما تصرح به المرأة عن المدة التي قضياها في أفريقيا، فهي تقول إنها ١١ عاما بينما الرجل يقول إنها ١٤ عاما.

هذه اللعبة في الكتابة تسمح لمانكل بوضع المتفرج في حالة تأهب منتظرا الحقيقة. وبناء عليه فإن نظرة المتفرج ليست مسجونة وإنما طليقة في تمثلاتها الخيالية وهذه إحدى مزايا الكتابة المسرحية لدى هنينغ مانكل.

تحضر الطبيعة الأفريقية بقوة فهي تغزو وتقضم أعماق الشخصيتين السويديتين الرئيسيتين. بل وتقتحم عقلهما محولة الواقع إلى وهم والوهم إلى واقع.

فما معنى أن تكون الشخصيات الأفريقية لامرئية، ألا يعني ذلك أن الإنسان الأوروبي الأبيض أفضل من الإنسان الأسود؟ ألا تعني أيضا أن أوروبا ترفض النظر إلى أفريقيا كضحية لها أولا ثم كشريك اقتصادي يمكن من خلاله تطوير الحاضر واستشراف مستقبل تكاملي أفضل للطرفين.

بلا شك، تعبر المسرحية عن شرخ في الهوية الثقافية للأوروبيين وهوة في التواصل بين بعضهم وبالأحرى مع غيرهم.

ومن هنا جاء غياب تقديم معلومات دقيقة عن المرأة والرجل. إذ لا نعرف عنهما تقريبا أي شيء سوى ما يرتبط بتاريخ تواجدهما في أفريقيا.

الرجل جاء لتشييد الآبار وفشل في مهمته بحيث إن ثلاث آبار فقط هي التي تعمل خلال فترة عمل استغرقت عشر سنوات.

(٤)

يشكل الخوف من السود حبكة المسرحية وأساسها الدرامي.

لارس رون إكمان كان يعمل في البناء، فأرسلته الحكومة السويدية بشراكة مع البنك الدولي إلى أفريقيا لحفر خمسمائة بئر. يكتب الرجل يوميا تقارير إلى إدارته وإلى البنك الدولي، يكتب فيها أحيانا عن حقيقة الأوضاع وصعوبة مهمته.

رافقته في هذه المهمة زوجته إليزابيث التي تعاني من اضطرابات نفسية، لأنها اضطرت لترك أبنائها في السويد.

يوجه مانكل انتقادات لاذعة إلى ثلاث جهات متحكمة في انهيار الأوضاع الاجتماعية والإنسانية في أفريقيا.

عدم توافق بعض التدابير مع الظروف الأفريقية المحلية، وعدم كفاءة بعض المسيرين الذين لا يدركون الواقع الأفريقي على حقيقته، ثم السياسة الليبرالية التي تكون خلفية أيديولوجية للمساعدات المقدمة.

(٥)

لهذا السبب بالتحديد يدفع مانكل الطبيعة الأفريقية للانتقام.

تقتحم خشبة المسرح لتأخذ بثأرها. إنها تقضم المساحة البصرية والصوتية للقبو بصمت حتى أن أرضية البيت المحصن تتحول إلى عشب وأحراش. تهاجم الشخصيات وتزرع فيها الذعر، بل إننا نشهد في النهاية أن النمل أيضا سيهاجم. وهذا المشهد يرمز علانية إلى أن أفريقيا تطرد الغربيين من أراضيها وترفضهم. وسيكون السبب في موتهم.

نتبين أن مانكل يعتقد أن الغرب الذي يقدم المساعدات للأفارقة ليس



من أجل أن يعيشوا وإنما لكي يموتوا. لأن مساعدات التنمية لا تحل مشاكلهم الهيكلية بل تصرف لتنمية الفساد الإداري والاستغلال الاقتصادي.

يرى مانــكل أيضا أن المؤسســات الرســمية الحكوميــة الإنمائية في أفريقيــا غالبا ما تحجب واقع الحال في أفريقيا، وبالتالي فهي تســهم في نشر سلســلة من الأكاذيب التي يتواطأ حولها الجميع. ومن الضحية طبعا؟ الشعوب الأفريقية الغارقة في المديونية والفقر والأوبئة والجهل.



دراســة نقدية

أ.د. ناديـــة كامل

الكاتب: هو هنينغ مانكل، السويدي الجنسية والذي يتمتع بشهرة عالمية وذلـــك بســبب ترجمة أعماله الروائية ثم المســرحية إلـــى أكثر من خمس وثلاثيـــن لغة. يكتب مانكل باللغة الســـويدية لذا عرفه العالم من خلال تلك الترجمـــات، ورغم أن عددا كبيرا من أدباء الســـويد قد حصلوا على جائزة نوبل في الآداب إلا أن شـــهرتهم العالمية محدودة، نذكر منهم أول امرأة في العالم تحصل على هذه الجائزة وهي الروائية «ســـلمى لاجرلوف» (Selma Largerlof) التي اعتمدت على أســـاطير السويد، فابتعدت مثل الكثيرين من الكتاب الســـويديين بذلك عن خط الكاتب المسرحي السويدي الشهير «أوغست سترندبرغ»(August Strindberg) الذي ظل مهيمنا على الأدب الســـويدي لفترة طويلة. وكذلك حصل على جائـــزة نوبل في الآداب كل من الروائي «إيفنيك جونسون» (Eyvnic Johnson) والروائي المسرحي «بار لاجركفيست» (Par Lagerkirst) و الشعراء «هاري مارتنسون» (Harry Martinson) و«إريـــك اكســـل كارل فلـــدت» (Erik axel Keirlfeldt) «وفرنر ڤون هايندستام» (Verner Von Heindestam) .

ويعتبـــر هنينغ مانكل من أهم الكتاب في الســـويد بل وفي العالم بفضل أعماله المتعددة ســـواء في الرواية أو المســـرح. فهو كاتب لسلسلة روايات بوليســـية شهيرة هي سلســـلة: والندر Wallander وبطلها المفتش كيرث والندر ، وقد ترجمت هذه السلسلة إلى ٣٥ لغة وحصل بفضلها على الجائزة الكبرى في الأدب البوليسي من الأكاديمية السويدية.

ولد هنينغ مانكل في ٣ فبراير عام ١٩٤٨ في ســـتوكهولم وقضى طفولته في مدينة ســـفج Sveg في شـــرق الســـويد حيث كان يعمل والده في سلك



القضاء، ثم انتقل إلى مدينة بوراس Boras في وســط الســويد. عاش مع والــده بعد أن تركته أمه وهو في طور الطفولــة ولم يبرأ أبدا من ترك أمه لــه وهو صغير، ولم يرها لفتــرة طويلة إلا إنه كما يقول صنع لها صورة في خيالــه، صورة مثالية، كثيرا ما جاءت في كتاباتــه. إلا أنه عندما التقى بها وهو شاب أصيب، كما يقول، بخيبة أمل كبيرة. هو حفيد الموسيقار الشهير هنينغ مانكل (١٨٦٨ - ١٩٣٠) صاحب مقطوعات موســيقية شهيرة للبيانو ولموســيقى الحجرة، كما أنه تزوج من إبنة المخرج الكبير إنجمار برجمان (Ingmar Bergman).

لم يعط هنينغ مانكل للدراسة اهتماما كبيرا، وسافر إلى باريس وهو في السادســة عشر من عمره، ثم بدأ يسافر في رحلات متعددة على متن سفن تجاريــة ما بين أوروبا وأمريكا، وكانت هذه الرحــلات بمثابة ثقافة جديدة عوضتــه عن التعليم الجامعي. ثم عند عودته إلى ســتوكهولم عمل في أحد المسارح كمشغل آلات ومن هنا بدأ اهتمامه بالمسرح، فكتب أولى مسرحياته وهو في السابعة عشرة من عمره «متنزه ترفيهي» (Parc d'attractions) والتي تتطرق الى اســتغلال المستعمرين السويديين في القرن التاسع عشر للســكان الأصليين في أميركا الجنوبية. ثم كتــب أولى رواياته (Eclat de pierre) « الشــظية الحجريــة» عام ١٩٧٣ ، وهي تعالج مشــكلات الحركة النقابية لعمال الســويد وفكرة التضامن معهم، وهو الموضوع الذي سيشغل الكاتــب في كل أعماله التالية: وهو الاهتمام بالمهمشــين. بعد هذه الرواية أصبح بمقدوره تحقيق حلمه وهو السفر إلى أفريقيا. سافر مانكل إلى غينيا بيســاو وزامبيا. وعند عودته عمل كمســاعد مخرج وأصبح مديرا للمسرح في ســكاني في وسط السويد، كما أنشأ مسرحا في موزمبيق Le teatro avenide حيث يعيش بشــكل متقطع منذ عام ١٩٥٨. وفرقته المســرحية هــذه هي الفرقة الوحيدة في موزمبيق. وكما يقول فيليب فوكيه: «إن مانكل دائما ما يبدي اهتماما كبيرا بالمهمشين».





وقد اهتم مانكل بالقضية الفلسطينية حيث شارك في ٣١ مايو عام ٢٠١٠ مع مجموعة من النشطاء في سفينة الحرية التي كانت تسعى لكسر الحصار الإسرائيلي على غزة وكانت تحمل مواد طبية وغذائية ومُنعت من قبل إسرائيل وأسفرت عن مقتل ١٩ مدنيا، وقد جرح أكثر من ثلاثين شخصا منهم مانكل الذي رحّلته إسرائيل إلى بلاده. وفي يوم ٢٩ يناير ٢٠١٤ أعلن مانكل إصابته بمرض السرطان في مرحلة متقدمة وقال أثناء إعلانه عن الخبر « قررت أن أكتب عن هذا المرض، لأنه يسبب ألما وعذابا يعاني منه العديد من البشر. ولكنني سأكتب من منظور الحياة، وليس من منظور الموت».

أما عن اهتمامه الشديد بأفريقيا والأفارقة الذين يعيش بينهم وعن سبب رحلاته المتعددة إلى هناك يقول مانكل « لم أذهب إلى أفريقيا لأسباب سياسية، فلا شيء هنا يذكرنا بالفردوس، بل على العكس تماما، منذ طفولتي، كنت أعرف في قرارة نفسي أنني سأذهب إلى هناك، واليوم لدي مكان أرى منه أوروبا وأفريقيا، فأنا أتنقل بين القارتين وهو مايتيح لي أن أرى العالم بشكل أفضل لا سيما أوروبا... فأنا استشيط غضبا عندما أرى الطريقة التي يتحدثون بها عن أفريقيا، يعرفون جيدا الطريقة التي يموت بها الأفارقة ولا يعرفون شيئا عن حياتهم!! حان الوقت لكي تبدأ أفريقيا في غزو أوروبا... كما فعلت أمريكا اللاتينية في الستينيات... ما رأيته في أفريقيا هو أوروبا، لقد صنعت مني أفريقيا أوروبيا أفضل».

هكذا يعيش حتى الآن مانكل متنقلا بين السويد وأفريقيا واضعا « قدما في الثلج وقدما في الرمال». في نهاية لقائه مع الصحافية الدنماركية كيرتن جاكويسون التي تكتب عن سيرته الذاتية قال لها الكاتب: « أثناء الوقت الذي أمضيناه معا، أكثر من ألف طفل أفريقي مات بحمّى الملاريا».

كتب مانكل عددا من المسرحيات هي (مايلز أو عصفور مونترو) و(الظباء) و(أيام وليالي شارتر) و (قاتل بلا ضمير) و(كيف ماتت المرأة

من البــرد على كوبري القطارات) و(بوليتيك) و(الظلمات) وســنتناول هذه الأعمال فيما يلي.

تذكرنا مسرحية «الظلمات» بمسرحية الظباء وتكاد تكون الوجه المكمل لها، إذ تعبر عن نفس الأجواء الخانقة، نفس الأبواب المغلقة وتيمة الانتظار والخــوف من الآخــر وترقب المجهول. تحكي المســرحية عن الهجرة غير الشرعية لأسرة أفريقية على ظهر قارب لا يلبث أن يغرق فتموت الأم ويبقى الأب والابنة ليعيشــا في ســكن مظلم فقير انتظارا لأوراق مزورة تتيح لهما الإقامة في الســويد. الشــخصيتان الأب والابنة قد فقدا الحق في الحياة، يعيشــان في جو كابوســي يذكرنا بأجــواء كافكا. في المســرحيتين العالم الخارجــي عالم عدواني يهدد الشــخصيات في كل لحظة وكأنه ســينقض عليهــم ليقضــي عليهم. يحيط بهم الظلام من كل جانب، ظلام المســتقبل وظلام الصمت المحيط.

أما مســرحية «قاتل بلا ضمير» فهي تطرح سؤالا مهما: متى يبدأ الشر، وكيف يبدأ؟ المســرحية تعتمد على شــخصيتين تربطهمــا علاقة من نوع خاص وهــي علاقة تبعية.. الطفل الأقوى أي الأكثر ثراءً يســيطر بشــكل كامل وشــبه سحري على الطفل الأضعف الأشد فقرا فيصبح مثل دمية من الســهل تحريكها. يبدأ المراهقان في ألعاب خطرة تودي بحياة أربع ضحايا من النســاء. المسرحية موجهة للشباب وهي ذات صبغة بوليسية، تعبر عن ســيطرة الأثرياء على الفقراء وتهدف إلى مقاومة الشر وتطرح سؤالا أخيرا .. لماذا نذهب إلى الشر ما دمنا لا نرغب في ذلك؟

مسرحية بوليتيك (سياســة) ترتكز على حادث حقيقي: اغتيال أولوف بالم رئيس وزراء الســويد الذي تم اغتياله في ستوكهولم يوم ٢٨ فبراير عام ١٩٨٦. تحكي المســرحية عن حياة الرجل وهي عبارة عن «فلاش باك» يتم أثناء حوارات جانبية لمجموعة من الشــخصيات أثناء حفل عشــاء. تطرح المســرحية تساؤلات معقدة عن عالم السياســة. ما هي طبيعة السياسة ؟

وما هي الحدود التي تفصل ما بين الحقيقة والأكاذيب؟

مســـرحية مايلز أو عصفور مونترو تحكي عن أثر الموسيقى، وما يمكن أن تصنعه بداخلنـــا .. لقاء غريب ومفاجئ بين رجل أعمال يعمل في خردة الســـيارات ومايلز عازف الجاز. لقاء لن ينساه رجل الأعمال بعد أن صافح مايلز واستمع إلى موسيقاه.

أيام وليال في شـــارتر: هذه المسرحية مستوحاة من صورة فوتوغرافية التقطهـــا المصور المجري روبـــرت كابـــا (Robert Capa) أثناء الحرب العالميـــة الثانية، وهي تصور امرأة مذعورة، حليقة الرأس تحمل طفلا بين ذراعيها وقد التف حولها حشـــد كبير من النـــاس يهاجمونها وهي تقاد إلى السجن إذ إنها صادقت الأعداء وأنجبت من أحدهم هذا الابن الذي تحمله. يلقي مانكل الضوء في هذه المسرحية على الألم والخوف.

مسرحية الظباء

عنوان المســـرحية باللغة السويدية هو Antiloperna ، وقد ترجمتها عن السويدية إلى الفرنسية جابريل روزافي Gabrielle Rozsaffy بعنوان Les Antilopes. وقد أدت ترجمة هذا العمل إلى شـــهرته خارج السويد لأن اللغة السويدية ليست من اللغات المنتشرة بين الأوروبيين.

عنوان المسرحية هو أول ما يلفت النظر إليها وعادة ما يكون العنوان هو أول ما يطالعه القارئ. ويشـــكّل العنوان أهمية خاصة وفقا لنظرية « جيرار جينيـــت Gérard Genette» عن النص المـــوازي paratexte (العنوان والإهـــداء وصورة الغلاف..) إذ يعتبر العنوان مؤشـــرا لما يحتويه النص من دلالات وإشـــارات. ترد كلمة «ظباء» في المسرحية عندما تقول المرأة أنها لم تعد ترى الظباء منذ أن رأت الصور التي التقطها الرجل مستغلا الأطفال



الأفارقــة وهم في أوضاع جنســية مقــززة. لقد اســتغل فقرهم وجوعهم وتعاســتهم ليلتقط لهم تلك الصور، في إشارة للظباء، وهي حيوانات عشبية شــديدة الخفة والرشــاقة والجمال. إنها تشــبه أطفال أفريقيا فهي مثلهم كانت فريسة للصيد الجائر، حتى أصبح هذا الحيوان الجميل نادر الوجود، إذ تم القضاء على أنواع كثيرة منه. وترد مرة أخرى عندما يأكل الرجل لحم الظباء ويجده طيبا.

تتكون المســرحية من فصلين .. وبها شخصيات ثلاث: رجلان وامرأة. تعتمد المسرحية على الحوار حيث يبرع مانكل في كتابته ويستعيض به عن الحبكــة الدرامية، إذ لا توجد حبكة ولا تطور في النص المســرحي إلا في النهاية. تبدأ المسرحية بوجود شخص واحد على خشبة المسرح يشار إليه، كما في أغلب لمســرحيات الجديدة، باسم «الرجل» ثم تهبط امرأة من على الدرج ويشــار إليها أيضا باسم المرأة نعرف فيما بعد أنها تسمى إليزابيث .. يبــدأ بينهمــا حوار بارد عقيــم نفهم من خلاله أنهما جــاءا إلى أفريقيا في مهمة إنســانية تمولها أوروبا لحفر وإعــداد أربعمائة بئر لتمد الأفارقة بالمياه، إلا أن عدد الآبار التي تعمل لا يتعدى ثلاثة.

همــا هنا منذ أربعة عشــر عاما، يمضيان الليلــة الأخيرة في المكان .. حوارهما يشــبه كشف حساب عما فعلاه في أفريقيا، عن قدر «المساعدة» التــي قاما بتوفيرها للســكان .. فالآبار لا تعمل، وأطفــال أفريقيا يموتون بسبب سوء التغذية، بينما يأكل الرجال البيض «الإسكالوب ڤينواز» ، و«لحم الظباء» كما يأتي على لسان الرجل.

يتحدثان عن الفتى المقتول على الدرج الذي كان في الخامســة عشــرة وكان كمــا يقول الرجل «لص فقير وجائع». فالســود يموتــون جوعا، بينما تُســرق ثرواتهم وتقتل حيواناتهم لأخذ العاج وجلود الفهود ولحم الظباء... يتم اســتغلال أطفالهم ونســائهم، فالســكان الأفارقة وجدوا فقط للخدمة والاستغلال بل وللقتل أيضا: قتلت طفلة في التاسعة لأنها كما يقال «سارقة»

لبعض الطعام. فهما قد أتيا للمساعدة، ولكن أي نوع من المساعدة؟

المرأة : هل ساعدتهم ليحيوا أم ساعدتهم ليموتوا؟

الرجل : لقد أجبت سلفا في تقاريري السخيفة يجب أن نختار، هذا ما كتبته، إذا كنا نريد مساعدتهم على الحياة أو الموت. لا يمكننا القيام بالشيئين .. يجب أن نختار.

يتحول الحوار إلى سهام يلقي بها كل منهما في اتجاه الآخر ويكيل كل واحد منهما الاتهامات للآخر، فالرجل يُذّكر المرأة بأنها هي الأخرى تتعامل مع المرأة الأفريقية (إيديت) بطريقة سيئة إذ تجبرها كما يقول الرجل على الجلوس على ركبتيها لتلميع أحذيتها.

وينتهي الفصل الأول وقد بلغ الغضب الذي انتاب المرأة ذروته فتصوب المرأة المسدس إلى رأس الرجل ثم تخفضه. في هذه اللحظة تدخل الشخصية الثالثة «لوندين» الذي يرتدي بدلة صيد ويبدو متسخا وملطخا بالدماء. لوندين هو الرجل الذي سيحل محلهما. يستمر الحوار بين الشخصيات الثلاث، يحاول لوندين أن يتعرف منهما على طبيعة الحياة والمكان، فيتم تحذيره بالخطر المحدق في كل لحظة فتسأله المرأة: «لماذا أتيت إلى أفريقيا»؟ ويرد قائلا «لأقدم مساعدتي» .. فترد المرأة : «بل لكي تصبح ثريا».

يستمر الحوار محتدما فيضرب الرجل المرأة فتخمشه في وجهه ويستمر الحوار العنيف بين الشخصيات الثلاث في ذلك المكان المغلق، لتذكرنا المسرحية بمسرحية سارتر «الأبواب المغلقة» نفس الجو الخانق، والشخصيات الثلاث التي تتناوب القيام بالتعذيب، جحيم في الداخل وجحيم في الخارج. تنخر الديدان في قدمي الرجل بينما تأتي جيوش من النمل الشرس لمهاجمتهم فيخدشون أنفسهم لتسيل من أجسامهم الدماء. .. لا



تواصل بين الرجل والمرأة فكل يعيش في عالمه المغلق، وكأنهما يعيشان في جزيرتين متباعدتين، فحوارهما مجرد كلمات جوفاء خالية من المعنى ومن الحرارة. وهي أجواء تغلب على المســرح الحديث فلم يعد البشر يتواصلون، والكلمات لم تعد تحمل مشاعر أو أفكارا بل صارت أغلفة صماء خاوية.

يتســاءل الرجل «لماذا أحاديثنا دائما مصطنعــة ؟» لتبدأ المرأة بإلقاء اللوم على الرجل فهو من قتل - ومن فرط خوفه الطفل على الدرج - طفل جائــع جاء يبحث عــن بعض الطعام. إنها الليلة الأخيــرة لهما في أفريقيا، وهما يســتعرضان الحياة - الجحيم - التي عاشــاها ، لقد فســدا روحا وجسدا. فسدا حتى النخاع إذ تعاملا باستعلاء وغطرسة مع العالم الأفريقي واســتغلاه، وقتلا من قتلا. وتم التعبير عن هذا الفساد بكمية الديدان التي تعيش وتتكاثر في قدمي الرجل حتى تخرج من عينيه.

باقي شــخصيات المســرحية، وهي أهم الشــخصيات، هي شخصيات الأفارقة التي لا نراها طوال المســرحية ولكنها حاضرة على الدوام. هناك الخادمة - اللامرئية - ولكنها تؤدي عملها، والحراس والأطفال القتلى. هي موجودة بأصواتها وأنفاســها ولكن بالنســبة لشخصيات المسرحية الثلاث هي شــخصيات لا مرئية، لأنها لا تســتحق الوجود أو الحياة، شــخصيات مهمشــة هي هنا لتعمل وتُســتغل، وقد أخطأت بوجودهــا على قيد الحياة بل وهي تحلم بالمســتحيل. يحلم الأفارقة - كما يقول الرجل « أن يعيشــوا مثلنا »!!.

الشخصية الرئيسية في هذه المســرحية هي أفريقيا .. نسمع أصوات طبولهــا وإن كانت كما يقــول الرجل ربما تكون أصوات دق المســامير في النعوش لأن أبناء الأفارقة قد ماتوا بســبب ســوء التغذية. أفريقيا حاضرة بحيواناتها وأصوات الليل وأصوات الضفادع الآتية من الخارج. إنها حاضرة بكل عنفوانها وحيواناتها ... الظباء، والفهود، والأفاعي، والديدان.

تحتوي المســرحية على العديد من الدلالات والرموز التي تحمل فيضا

من الإشارات والرســائل. وفقا لنظرية بيرس Peirce فإن هذه الإشارات لا تأتي اعتباطا أو عفوا بل ليســت هناك دلالة مجانية، فكل إشارة سمعية كانــت أو بصريــة لها مدلولها. فالمــرأة تضع في أذنيها قرطا على شــكل أفعــى. فدلالة القرط يمكن أن تقرأ على أنها إشــارة الــى ما تضمره هذه المرأة من شــر وخبث، كما أن هذه الدلالة تنذر بالأفعى التي ستتســلل إلى الغرفة في نهاية المسرحية. والإشارة الى الديدان ترمز إلى الفساد والتعفن الذي يستشــري في نفوس الشــخصيات. وترمز أسراب النمل الدؤوب إلى الأفارقة الذين قــد يراهم الأوروبيون على أنهم ضعفــاء مقهورون إلا أنهم يعودون في النهاية للثأر ممن اســتغلهم واحتقرهــم. أما الظباء فهي ترمز للوداعة والطهر وهي تشير إلى الأطفال الذين تم استغلالهم. لا توجد دلالة بريئة فالفهد الذي «يصطاد في الفراغ المسرحي» يشير إلى ما سيئول إليه مصير الشــخصيات الثلاث. ولا نغفل الأصوات التي تأتي من الخارج وتعلو في النهاية منذرة: نقيق الضفادع وأصوات الطبول وأصوات الحيوانات: إنها أفريقيا التي تستعد لأخذ دورها أو بالأحرى ثأرها.

أفريقيــا الجميلة بقمرهــا وغروبها، أفريقيا المنهكة ولكنها كشــخص حاضر بكل قواه ينتقم ممن أتوا لاستغلاله، إذ تتسلل « أفعى من نوع الكوبرا .. بسرعة بين قدميه من دون أن ينتبه إليها .. فجأة تدق الطبول .. بصوت عال» . ويبقى ثلاثتهم مع الأفعى ويسدل الستار.

أ.د. نادية كامل

القاهرة: فبراير ٢٠١٥



الفصل الأول

الفهد يصطاد داخل فراغ داخلي

الرجل وحيد على خشــبة المســرح وكأن إلهاما ينيره. نصف عار بهيئة مثيرة للشــفقة لستيني ينكر عمره. الطقس حار لهذا يتصبب عرقا غزيرا. يصغي بانتباه لأصوات الليل الأفريقي جميعها: نقيق الضفادع. غناء حشرات الزيز. فجأة يتجه صوب مشــغل أســطوانات، يضع واحدة، فنســمع صوت جيســي بيولينغ من سنوات الثلاثينيات. كما لو أنه تخفى بالموسيقى، ينظر بحذر من خلال الستائر السميكة.

يكتشف شيئا لم يعجبه.

المــرأة تنزل الدرج هي أيضا ترتــدي نصف ثيابها، تتصبب عرقا، تفرج أصابعها المخلبية من أجل تنشــيف ورنيش الأظافر. تنخفض الموســيقى شيئا فشيئا...

المرأة : ماذا هناك؟

الرجل : إن صدرها مكشوف.

المرأة : مع أنني قلت لها أن تزر قميصها.

الرجل : الا تصدقيني؟

المرأة : أين هي؟

الرجل : تفرغ القمامة.

المرأة : كان من واجبها أن تقوم بهذا منذ وقت طويل.

تنظر المرأة من خلال الستائر.

الرجل : ماذا كنت أقول لك؟

المرأة : صدرها مكشوف.

الرجل : قلت لك ذلك، أنا لا أخطئ في مثل هذه الأمور.

المرأة : بالتأكيد لا.

الرجل : ماذا تقصدين بهذا الكلام؟

المرأة : لا شيء.

الرجل : عم تتحدثين؟

المرأة : نحن بصدد الحديث عما رأيته أو عما لم تره!

الرجل : لماذا تتحدث عني؟ الأمر يخص إديث أليس كذلك؟ إنه إهمال كبير أن تتمشى مكشوفة الصدر هكذا. ألسنا متفقين؟ لماذا لم تحدثيها عن الأمر؟

المرأة : حدثتها عنه.

الرجل : ماذا قلت لها؟

المرأة : يجب أن تزر قميصها لكي يبقى صدرها مكشوفا.

الرجل : من جهة أخرى، أليس هذا قميصك؟

المرأة : أعطيته إياها.

الرجل : قميص حريري.

المرأة : نعم.

الرجل : قميص من الحرير الخام، يساوي ثمنا باهظا؟

المرأة : نعم.

الرجل : وأهديتها إياه؟

المرأة : لم أرتده أبدا، ولم أحبه أبدا.



الرجل : أنا من اقتناه لك. هل تذكرين؟ لا، لا تتذكرين. وماذا قالت حينئذ؟

المرأة : عندما أعطيتها القميص، وماذا تعتقد؟ قالت، شكرا.

الرجل : ليس هذا ما أسأل عنه. ماذا قالت عندما طلبت منها ألا تترك صدرها مكشوفا؟

المرأة : ولماذا لم تسألها أنت عما تفكر به؟

الرجل : هي لا تفكر. ليست مثلنا على الأقل.

المرأة : قل لها ذلك عندما تدخل.

الرجل : ليس لدي الوقت، لم أرتد ملابسي بعد. كم الساعة؟

المرأة : لديك الوقت.

الرجل : ما معنى هذا الجواب؟ كم الساعة؟

المرأة : لماذا أنت شديد التوتر؟

الرجل : أنت المتوترة. لماذا سأكون متوترا؟ توقفت أن أكون متوترا. لا أقلق أبدا من أجل الترهات طويلا. أريد فقط، أن أعرف كم الساعة؟ أريد فقط، أن أعرف، كم أمامي من الوقت، لأرتدي ملابسي قبل أن يصل. الا تريدين أن تستعدي؟

المرأة : تعتقد أنني سأستقبله بلا ملابس؟

الرجل : ما أدراني وسط هذه الفوضى! الرجل المرهق والمتوتر يصبح بغتة هادئا وحنونا. ترتدين شيئا

حسنا هه؟ الفستان الأحمر، الذي اشتريته من القاهرة، هذا أحبه كثيرا.

المرأة : لم أذهب أبدا إلى القاهرة.

الرجل : كنت بالتأكيد في القاهرة! قضينا بها أسبوعين. أقمنا في فندق حيث كان المرحاض نتنا برائحة أمعاء الخروف. وذات يوم عندما عدت إلى الفندق وجدتك قد اشتريت الفستان الأحمر.

المرأة : خلف الفندق كانت هناك أحياء الصفيح. كانت كما لو أن الجنة والجحيم كان لهما المدخل نفسه... كان هناك رجل عجوز بلا أسنان، وكان لديه هذا الفستان الشيء الوحيد المعروض للبيع.

الرجل : لم تكن هناك أحياء صفيح خلف الفندق. أما الفستان، فاشتريته من محل فاخر أسفل القناطر التجارية المقابلة للفندق.

المرأة : كان الفستان يخص ابنته التي توفيت. وعرضه للبيع نظرا لحاجته للمال.

الرجل : لا أفهم لماذا يجب أن تختلقي الذكريات! لماذا لا ترضين بما حدث حقيقة؟

المرأة : فورا، ماذا تعني بكلامك تحديدا...

الرجل : ماذا؟

المرأة : فلتعد إلى ديارنا...

الرجل : تقصدين أن نعود إلى ديارنا.

المرأة : إلى أين؟

الرجل : إلى ديارنا... لا تعني أنها ديارنا!

المرأة : كما لو أني أشم أريجا...

الرجل : تفاح الشتاء.

المرأة : الراتنج...الدهن المقلي.

الرجل : ملابس صوفية مبللة.

المرأة : لا تقاطعني! المطر...لكن ليس كما هنا.. ليس كضربات السوط من جلد فرس النهر التي تهوي فوق السطح. إنها نوع آخر من المطر... شجر التنوب... رائحة الصنوبر.

الرجل : هل يمكن أن أطلب منك شيئا؟

المرأة : لا أظن أن بمقدوري الإجابة.

الرجل : كم هي المدة بالضبط ونحن هنا في أفريقيا؟

المرأة : أحد عشر عاما.

الرجل : كل هذه المدة الطويلة؟

المرأة : نعم.

الرجل : ماذا فعلنا بالضبط؟ وكأن كل شيء قد تبخر.

المرأة : لقد وهبنا ملابسك. فرشاتنا للأسنان القديمة. كؤوس البلاستيك والعلب. قطع اللحم المتبقية. الجوارب المثقوبة... ولو كان الأمر نافعا لقدمنا أنفسنا أيضا.



الرجل : هذا ما فعلته؟ إعطاء ستراتي؟ لم أعمل شيئا آخر؟ لا شيء؟

المرأة : وما أدراني.

الرجل : لكن يجب أن تعرفي! يا إلهي! أحس أني مريض.

المرأة : أنت مريض.

الرجل : لست مع ذلك مريضا؟

المرأة : أمس شرطت لك الكعب وأخرجت منه دودة. كانت بيضاء وطويلة بحجم ستة سنتيمترات. خيل إليّ أني سأقيء.

الرجل : أظن أن دودة أيضا توجد في القدم الأخرى. هل يمكنك استطلاع الأمر؟

المرأة : إذن يجب أن أشرب شيئا قبل ذلك؟

الرجل : أظن أني محموم. لكن اللعنة كيف يمكن أن نعلم أننا مصابون بالحمى في هذه الحرارة المماثلة.

المرأة : أعطيت المحرار.

الرجل : لمن؟

المرأة : لإحدى نسوة الحارس الليلي. لكن لا تسألني من هي. لا أستطيع تذكر الأسماء. لكنها قالت إن أحد أبنائها مصاب بحرارة شديدة. ربما كانت تكذب...

الرجل : ولماذا لم تقولي لها أن لديها أبناء كثيرين جدا؟ كم لديها؟ سبعة؟ تسعة؟ والمرأة الأخرى كم لديها أيضا؟ كم لديه من طفل ذلك الأيزنهاور؟ كان من

المفـــروض أن يكون حـــارا ليليا، يطـــرد اللصوص، ويصرخ وراء الســـارقين القدمين. لكنه ينام. ويشخر عاليا إلى درجة أننا لا نستطيع النوم. وخلال النهار في الواقع من المفروض أن ينام. ماذا يفعل حينئذ؟ يصنع أطفالا. ثم يأتي هنا ليعرضهم علينا. اســمي لارس رين إكمان. ماذا يسمي ابنه؟ ليس لارس وليس رين. يســميه إكمان. إكمان موكوتوان. التقط مغلف مشغل الأسطوانات الجديد خاصتنا وبالضبط حينما أنجبت زوجته التوأمين. صبيتان ماذا أسماهما؟ بانغ وأولوفســن! بانغ موكوتوان وأولوفسن موكوتوان... وينـــام طوال الوقت. ينام طـــوال الوقت. اللعين...لا أتذكر ما كنت أفكر فيه قبل أن أصل إلى هنا. بماذا كنت أفكر منذ إحدى عشرة سنة؟

المرأة : كنـــت هنـــا أنظر منظـــرا معتما. ثم لم أعـــد أتذكر شيئا.

الرجل : ليس تماما هذا. كان الفصل صيفا عندما ســـافرنا. كانـــت الليالي مقمـــرة ولا يمكنـــك أن تكوني هناك وترين منظرا معتما.

المرأة : هل تتذكر ما قلته؟

الرجل : أتذكر، بالتأكيد، ما قلته.

المرأة : ماذا قلت إذن؟

الرجل : وأخيرا.

المرأة : ثم ماذا بعد ذلك؟



الرجل : لا أتذكر جيدا. لكن ما أعرفه أني قلت: وأخيرا!

المرأة : أنا أتذكر شيئا آخر...

صمت أتى من لا مكان يقف بينهما. ضوضاء أفريقية قوية جدا.

الرجل : أحيانا يبدو أن فهدا يستحوذ عليّ. وحش يحوم حولي ويعتبرني فريسة.

المرأة : حمدا للإله أن النوبة فاتتك!

الرجل : سنسافر مرة أخرى.

المرأة : أبدا!

الرجل : لكن عزيزتي الصغيرة. هذا ما قررناه!

المرأة : أنت من قرر ولست أنا.

الرجل : ألم تعجبك الإقامة هنا؟

المرأة : وماذا تعتقد؟

الرجل : في هذه الفوضى ماذا تريدنني أن أعتقد؟ ما معنى «الاعتقاد»؟ لا أفهمك، ماذا يحدث معك. لماذا لا تتذكرين أنك كنت في القاهرة؟ لماذا تقولين إننا مكثنا هنا أحد عشر عاما؟ لماذا لا ترتدين ملابسك؟

المرأة : لمَ بالضبط قدمنا إلى هنا؟

الرجل : كانت مغامرة. وستنتهي هذه الليلة.

المرأة : كابوس.

الرجل : مهمة.

المرأة : فشل.

الرجل : لماذا تقولين هذا؟ لم أفشل. كانت تصل كل أسبوع برقية من الإدارة المركزية تحمل ملاحظات مشجعة جدا.

المرأة : لقد منحت ستراتك. يرتدي البستاني سترتك التي كنت ترتديها عادة عند قيامنا بزيارة لوالديّ. الآن جيوبك مليئة بالتراب...

الرجل : يجب أن تستعدي الآن. سيحضر لوندن قريبا.

المرأة : لماذا يحضر لوحده؟ لماذا زوجته لا تحضر معه؟

الرجل : سمعت أنه مطلق.

المرأة : وماذا تعرف أيضا؟

الرجل : ينظر من باب المطبخ. يعد عصير فواكه. لا أعرف أكثر مما تعرفينه. يدعى لوندين، قدم من فايستترياس ويبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاما. وهو مطلق. في صحتك! وشكرا على هذه السنوات جميعها.

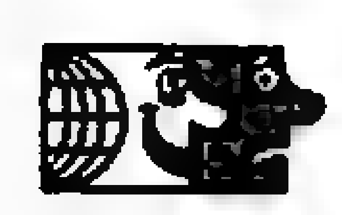
المرأة : هل سننفصل؟

الرجل : بالتأكيد لن ننفصل! لكننا سنترك أفريقيا، يا عزيزتي. هل نسيت ذلك؟

المرأة : لم أنس شيئا مطلقا...

الرجل : ماذا يحدث لك؟ أنت متوترة! هل أنت خائفة من العودة إلى الديار؟ سأقدم لك شيئا لتشربيه.

المرأة : لا أريد شيئا.



الرجل : لكن إذا أردت كأســا. خذي... ما هذه الفوضى؟ ما هذا؟

المرأة : زجاجة؟

الرجل : زجاجة شراب فارغة؟

المرأة : لا أشرب هذا النوع.

الرجل : لست أنا من اشتراها. كيف وصلت إلى هنا؟

المرأة : وما أدراني أنا؟ أنت من يشتري الكحول ولست أنا.

الرجل : أنا لا أشــتري أبــدا هذا النــوع. وأرمــي القنينات الفارغــة جميعها، ثم تلتقطهــا إديث فيما بعد إديث من القمامة. ما هذه القنينة؟ من وضعها هنا؟

المرأة : يا إلهي أقول لك لا أعلم...

الرجل : أحدهم أتى إلى هنا؟

المرأة : أنت تتهمني؟

الرجل : لا، لكنــي لا أريــد أن تحضر قنينات هذا الشــراب الفارغة إلى البيت وبأي طريقة...

المرأة : اذهب الآن، لترتدي ملابسك.

الرجل : سأذهب. خذي! نخبك!

المرأة : لا أريد.

الرجل : يجب أن تنظري إلى قدمي. أراهنك أن ديدانا توجد هنا أيضا. هناك شيء يتحرك وكم يحكّني بجنون!

تفرغ المرأة كأسها.

المرأة : إذن تمدد هنا!

يتمدد الرجل فوق الأريكة. يرفع رجلا.

الرجل : هل ترين شيئا؟

المرأة : اهدأ قليلا...

الرجل : أي...

المرأة : يجب أن أضغط. لا تحرك قدمك.

الرجل : هل ترين شيئا؟

المرأة : لديك عش من الديدان في كعبك.

الرجل : ليس صحيحا؟ تسقط المرأة قدمه من يدها. إلى أين أنت ذاهبة؟

المرأة : سأذهب لأرتدي ملابسي.

الرجل : لدي ديدان في الكعب! وتريديني أن أستقبل خلفي بديدان تعج بها قدمي!

المرأة : يجب أن أبحث عن إبرة خياطة

الرجل : إليزابيت!

المرأة : ماذا تريد؟

الرجل : تعالي واجلسي هنا!

المرأة : يجب أن أرتدي ملابسي، سيصل قريبا.

الرجل : هناك شيء أريد قوله لك.

المرأة : نعم؟



الرجل : يجب أن تبقي واقفة؟ لا يمكنك الجلوس؟

المرأة : سأذهب لأرتدي ملابسي.

الرجل : بدأ الآن يتبلبل تفكيري... هناك شيء أفكر فيه دائما. لكني لا أعلم ما هو... الفهد يصطاد هنا في داخلي وهناك شيء مهم أفكر فيه. لكني أنسى طوال الوقت ما هو.

المرأة : هل تتذكر الأفريقي المقتول. الممدد على الدرج. كان تلقى سهما في عنقه... ماذا فعلت بالتحديد؟

الرجل : ماذا تقصدين؟

المرأة : هل ساعدتهم ليحيوا أم ساعدتهم ليموتوا؟

الرجل : لقد أجبت سلفا في تقاريري السخيفة. يجب أن نختار، هذا ما كتبته، إذا كنا نريد مساعدتهم على الحياة أو الموت. لا يمكننا القيام بالشيئين. يجب أن نختار... وهنا، يعم الصمت، كما لو أني غير موجود. «أكتب بالأحرى فوق طبول الليل» تسأل سيدات البنك الأنيقات. «أي طبول؟» فأجبت. لا توجد طبول. إنها المطارق. إنهم نجارون مساكين يدقون المسامير في النعوش. لأن أبناءهم توفوا بسبب سوء التغدية. ليس طبولا إنها ضربات المطرقة! سأكتب لهم مرة أخرى. هل سنساعدهم على الحياة أم سنساعدهم على الموت.

صمت طويل. الضفادع تنق.

المرأة تنظر من خلال الستائر.

الرجل يبقى مترددا وسط الغرفة.

من الأفضل أن أرتدي ملابسي.

المرأة : هل تعتقد أنه سيكون جائعا عندما يحضر؟ هل نطلب من إديث أن تحضر له شيئا؟

الرجل : يسافر على متن اللوفتانزا وطبخهم طيب جدا. إسكلوب فينواز مع صلصلة كثيفة. لا أظن أنه سيكون جائعا...

المرأة : بسرعة. متى سنتحدث حقيقة عن كل ما حدث؟

الرجل : وماذا حدث؟

المرأة : في أفريقيا سيكون كل شيء مختلفا، هذا ما كنت تقوله. سننطلق من الصفر، لنساعد العالم على التقدم...

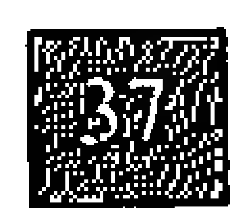
الرجل : يا إلهي... هل قلت هذا حقا؟

المرأة : نسيته بالتأكيد...

الرجل : هل قلت هذا حقا؟

المرأة : عند الفجر أفريقي مقتول وجدناه ملقى على درج بيتنا. أحد الكلاب مزق حنجرته. ربما كان في الخامسة عشرة؟ سارق...

الرجل : أحس بأني اقتنعت، لكني لا أعرف بماذا. اللعنة، كيف يمكننا العيش إذا كنا لن نبصر أي شيء أمامنا؟





المرأة : توقفت حشرة ضخمة كثيفة الشعر فوق عينه وأخذت تمص مياهها. سال الدم على طول الدرج... من كان؟ كيف تمكن من اختراق السور بسقفه الزجاجي. من كان؟

الرجل : لص فقير وجائع...

يجلس فوق الأريكة. أصوات الطبول. يصغي بانتباه.

تسمعين...

المرأة : الطبول...

الرجل : طرقات المطرقة... لا، قلوب تنبض...

تضع المرأة كفها فوق جبهة الرجل.

المرأة : حرارتك مرتفعة.

الرجل : أنا مصاب حقا بالحمى.

المرأة : الخوف يؤدي إلى الإصابة بالحمى.

الرجل : لست خائفا. إنها الديدان في قدمي. نعم أنا مصاب بالملاريا. أو بالطفيليات في الكبد. الكليتان. الدورة الدموية. العناكب التي تقرض داخل جمجمتي...هل تعلمين ما تضمنه التقرير الأخير إلى ما توصلت به؟ «مشــروع ناجح بشــكل خاص ونحن فخورون به...» لكنه فشــل فشــلا ذريعا! كان من المفروض أن نعد أربعمائة بئر وحفرنا وبنينا بالأسمنت أربعمائة بئر. هناك اليوم ثلاثة تشــتغل. ثلاثة... ولولا توافر تلك

المضخات...

المرأة : سمعت عن مضخاتك منذ أحد عشر عاما...

الرجل : أربعة عشر! أربعة عشر عاما.

المرأة : لا أريد أن أسمع عنها، في هذه الليلة الأخيرة هنا. وعندما انتهى أخيرا كل شيء...

الرجل : لا شيء انتهى ولا شيء أيضا ابتدأ...

المرأة : يجب أن ترتدي ملابسك.

الرجل : لا أريد أن أرتدي ملابسي. لا أحتمل ملمس الملابس. إنها تحكني...

المرأة : من كان الرجل الملقى على الدرج؟

الرجل : كيف تريدينني أن أعرف؟ حدث هذا منذ ثلاث سنوات. أنت تتذكرين دائما الأشياء السيئة...

المرأة : أفكر فيه كل يوم...

الرجل يصعد الدرج.

الرجل : ألست جائعة؟ ما رأيك أن نطلب من إديث أن تعد لنا شيئا ونحن ننتظر؟ فيم تفكرين؟

المرأة : سأذهب لإخبارها بذلك.

الرجل : قولي لها أن عليها أن تزرر قميصها وإلا فسأطردها هذه الليلة. حتى وإن كانت الليلة الأخيرة.

يختفي الرجل في أعلى الدرج. المرأة وحيدة. تملأ كأسا ثم سرعان ما



تغير رأيها ولا تشـــريه. تحمل صندوقا موضوعا فوق الطاولة، تجلس وتفرغ ما في داخله فوق الطاولة. إنها حلي. تحاول أن تختار إحداها لكنها لا تفلح. تقــف وتتقدم، تهز مشــبك النافذة. يبدأ جرس الإنــذار في الصراخ. ينزل الرجل الدرج كالاعصار. لا يرتدي غير سروال تحتي وسترة بيضاء. مذعورا معتقدا أنها هجمة لصوص. يوقف الجرس. الضفادع تنق داخل الصمت.

الرجل : اللعنة ماذا تفعلين؟

المرأة : يجب أن نتحدث...

الرجل : حول ماذا؟

المرأة : أنت تعرف عن ماذا جيدا؟

الرجل : لا أعرف شــيئا! يجب أن أرتدي ملابسي. سنتحدث عندما نعود إلى ديارنا. الوقت غير مناسب الآن...

المرأة : ليس الوقت مناسبا أبدا.

الرجل : لمــاذا تقولين هــذا؟ ليلة بعد ليلــة كنت أجلس إلى جوارك لأسمع حديثك. وأجبتك وأجبتك دائما.

المرأة : لم أتوصل بعد إلى الجواب.

الرجل : لأني لا أفهم أسئلتك؟

المرأة : عندما تجيب، تكذب.

الرجل : أنا لا أكذب!

المرأة : هنا كذبت مرة أخرى.

الرجل : أصبــح غاضبــا عندمــا تتحدثين بهــذه الطريقة. وحزينا. لا لست غاضبا. حزين فقط.



المرأة : لا تذرف الدموع إلا عندما تهرب الكلاب.

الرجل : لا أفعل هذا!

المرأة : لكن عندما تجد على الدرج أفريقيا بحنجرة ممزقة. ماذا تفعل آنئذ؟

الرجل : ماذا أفعل؟ وماذا تريدينني أن أفعل؟

المرأة : ضحكت!

الرجل : ضحكت؟

المرأة : ضحكت، ثم قلت شيئا.

الرجل : بطبيعة الحال قلت شيئا. ما الغرابة في هذا؟ لكن لا تدعي عني مسألة الضحك. لم أفعل هذا. يا إلهي ما الذي سيدفعني إلى الضحك؟ كان الدرج ملطخا بالدماء. لو أن الحارس الليلي لم يصبه بسهمه ولو أن الكلب لم يعضه، كان سيتسلل إلى بيتنا. حينئذ ماذا كان سيحدث؟ كان سيقطع رأسينا. قلت لك. من حسن حظنا أنه مات...

المرأة : يجب أن تبكي لأنك بلا إحساس.

الرجل : لا أفهم عم تتحدثين...أيزنهور جاء. لماذا الكلاب لا تنبح؟

المرأة : ربما هربت.

الرجل : ما هذا الهراء الذي تقولينه؟ أليس البيت بكامله مغلقا، إلى أين تذهبين؟ أليس من المفترض أن



نتحدث؟

المرأة : سأذهب لأرتداء ملابسي!

الرجل : لا تصرخي!

المرأة : إذا لم أصرخ، فلن تسمعني.

الرجل : فلنهدأ الآن. لا أحد يصرخ. نرتدي ملابسنا، ونتناول قليلا من الطعام في انتظار لوندين. انظري. بالكاد أستطيع الوقوف على هذه القدم! إنها تحكني إلى درجة سأصبح فيها مجنونا...

المرأة : يجب أن تحدثي إديث.

الرجل : لكني لم أرتد ملابسي!

تختفي المرأة في أعلى الدرج. الغرفة تجتاحها شيئا فشيئا المناظر الطبيعية الأفريقية الأعشاب العالية الجافة كلأ الفيلة. شمس المساء المشعة على المرآة. الأصوات ترتفع عاليا شيئا فشيئا. يفتح الرجل بابا ذا أقفال عديدة.

الرجل : لا تقفي هنا! ادخلي! لماذا تفعلين ما تطلبه منك زوجتي؟ ماذا قالت لك؟ كل يوم نفس الشيء. يجب أن ترتدي ملابسك بطريقة لائقة إذا جئت للعمل هنا. لا تتركي صدرك مكشوفا. لقد أعطيناك قميصا جميلا. يساوي ثمنا غاليا. إديث، أنا من اشتراه. لا نطلب منك شيئا كبيرا، إديث، أن تزرري بضع أزرار ليس أصعب من إغلاق الباب خلفك...الآن يجب أن تعدي لنا شيئا لنتناوله. إديث أنا وزوجتي جائعان.



اسرعي... على فكرة، هل وصل أيزنهاور؟ نعم؟ مازال مخمورا؟ إديث. لا تكذبي! شرب بطبيعة الحال. هذا المساء الأخير. سنفتقدك. إديث. رغم أنك متكاسلة وتسرقين الملح، والسكر، والأزرار..ماذا ستقولين؟ ماذا؟ لا لا تقول أي شـيء. لسـانك مصنوع من نعم ولا. أنـت مبهمة. أنتم جميعكم غامضون. أعدي لنا الآن شيئا للأكل. وبعد ذلك يمكنك أن تتصرفي أنت وأبناؤك جميعهم إلى وسـط صناديق القمامة... ألا تفهميـن يا إديث أننا نحبك؟ لا هـذا لا تفهمينه... أسرعي الآن...

يغلق الرجل بهدوء الباب يختفي المنظر الأفريقي ببطء. ورغم ذلك فكأن شـيئا منه لا يـزول. يصعد الرجل الدرج، يقابل زوجتـه التي أنهت اللحظة ارتداء ملابسها. يتوقفان وينظران إلى بعضهما كما لو أن أحدهما ينتظر من الآخر أن يقول شـيئا. ثم يختفي الرجل في الطابق بينما المرأة تنزل. تبدأ بإعداد المائدة. يظهر الرجل على الدرج واضعا قبعة بيضاء ونظارة شمسية وقميصا وربطة عنق وسروالا داخليا. جورب وحذاء في إحدى القدمين.

المرأة : ماذا هناك؟

الرجل : لم أعثر على جواربي..

المرأة : وضعتها فوق السرير.

الرجل : لم أعثـر إلا على واحـدة. لا أسـتطيع تحمل هذه الفوضـى. كيف يمكنني أن أفهم مـا يحدث هنا... جورب يختفي...

المرأة تصرخ في اتجاه المطبخ.

المرأة : إديث هيا اذهبي لإحضار جوارب بوانا!

الرجل : هذا ما سأكتبه في تقريري الأخير. أفريقيا قارة كل شيء فيها آيل للزوال. عالم حيث يختفي. جورب واحد وليس الاثنين. على الأقل ليس في وقت واحد.

المرأة : بحيوية، هل تعتقد أن آباءنا سيتعرفون علينا؟

الرجل : بالتأكيد. أنا مازلت الشخص نفسه. لم أتغير أبدا خلال هذه السنوات كلها.

المرأة : فقدت أسنانك.

الرجل : لم أفقدها.

يفتح الرجل فمه كله.

انظري هنا! ناب واحد ينقص! أسناني سليمة. في كل الأحوال لا أهمية لهذا. لن أتمكن أبدا من المضغ.

المرأة : إنه أيزنهاور من ترك الأفريقي يدخل إلى درج بيتنا.

الرجل : من؟

المرأة : أيزنهاور! الحارس الليلي الذي لا تجرؤ على طرده!

الرجل : أجرؤ بكل تأكيد، لكني لا أقوم بذلك. أنا أكثر ذكاء كي أمنحه هذا الامتياز. وهذا ما لا تفهمينه. إنهم يكرهوننا يا عزيزتي! وإذا كان بمقدورهم، فإنهم سيحزون رأسينا. سيضعوننا وسط إطاري عجلات

مبللة بالبنزين ويرقصون حولنا بينما نحن نحترق...
بطبيعة الحال فإن أيزنهاور من ترك الأفريقي يدخل.
وليس مستغربا أيضا أن يرميه بسهم قاتل.

المرأة : كيف حدث هذا؟ احكِ!

الرجل : ليس لدي ما أحكيه. يجب أن أعثر على فردة جوربي قبل أن تختلط عليّ الأمور جميعها.

المرأة : الطعام جاهز.

ينسى الرجل فورا جوربه الضائع. يتصرف بود كما لو أنه يرتدي ملابسه بالكامل.

تحضر المرأة طبقا من المطبخ.

الرجل : هذا جيد! ما هذا؟ إنه لحم الظبي. لا أفهم كيف يمكن للمرء أن يحس بالجوع في مثل هذه الحرارة... انظري! قميصي مبلل بالعرق. كم من الوقت مضى على ارتدائي إياه؟ خمس دقائق...

المرأة : أفضل نبيذا مع الطعام.

الرجل : لم يعد لدينا شراب.

المرأة : خزنت بضع قنينات على جنب.

الرجل : لماذا؟ سنعود غدا.

المرأة : فقط احتفظت بها.

الرجل : هذا ما كنت أقوله دائما. كيف يمكنني أن أتدبر أموري من دونك.



يجلسان إلى المائدة ويأكلان.

: هذا طيب. في صحتك!

المرأة : في صحتك!

الرجل : هل قلت لها أن تنظف يديها؟

يطلع المرأة على قطعة لحم.

هنا، تبدو كآثار أصابع...

: في صحتك!

المرأة : في صحتك!

الرجل : كيف كان مظهرها؟

المرأة : ماذا تقصد؟

الرجل : عندما أحضرت الطعام. كيف وجدتها؟

المرأة : انتفضت، عندما دخلت إلى المطبخ.

الرجل : ما هي الطريقة التي انتفضت بها؟ وماذا فعلت؟

المرأة : أعتقد أنها أخفت السكين الذي قطعت به الظبي.

يقف الرجل ويتوجه نحو المطبخ. يصغي.

: ماذا تفعل؟

الرجل : يضع إصبعه على فمه. اصمتي...

المرأة : يا إلهي...

الرجل : إنها تدبر أمرا. هناك صمت مريب.



المرأة : ربما ترضع طفلها الصغير.

الرجل : ربما تشحذ سكينا.

المرأة : تضحك. كم تبدو صبيانيا...

الرجل : لولا أني أقف لهما بالمرصاد باستمرار، كان يمكن أن يحدث أي شيء. إذا كان من أحد صبياني هنا، فهي أنت...

المرأة : في صحتك!

الرجل : انظري ماذا تدبر!

المرأة : في صحتك!

الرجل : هل تسمعين ما أقول؟

المرأة : لا يمكننا أن نشرب نخبنا الآن؟

الرجل : بالتأكيد يمكننا أن نشرب نخبنا! في صحتك! اذهبي لتستعلمي عما تفعله. على فكرة، لماذا لا تنبح الكلاب؟

تنهض المرأة وتتوجه صوب باب المطبخ، تفتحه، وتعود لتجلس.

المرأة : ليست في المطبخ.

الرجل : ما تقصدين بهذا الكلام؟

المرأة : ربما خرجت لتطعم الكلاب. ولهذا فهي لا تنبح...

الرجل : يظهر على الرجل بعض الارتياح. نعم. ربما هذا هو السبب.. نخبك! الطعام لذيذ. لذة عجيبة...

المرأة : حسبت أن عليها أن تشتغل لدينا ثلاثين عاما لتحصل على مبلغ يساوي أجرة شهر في عملك.

الرجل : تسعة أجيال...

المرأة : لكن هناك شيئا آخر مهما.

الرجل : ماذا؟

المرأة : تأخذ أجرا جيدا. أظلمت منذ مدة. لماذا لم تحد لحد الآن؟

الرجل : يجب أن تحط. لا تقلق الآن. نخبك!

المرأة : نخبك...

الرجل : يا إلهي. كم تهرشني.

المرأة : معي هنا إبرة الحياكة.

الرجل : الأفضل أن تقومي بذلك الآن...

يضع الرجل قدمه العارية على الكنبة. وتبدأ المرأة في تشريح القدم بإبرة الحياكة.

المرأة : إذا أحسست بالألم قل ذلك.

الرجل : اللعنة كم هو مؤلم... هل ترين شيئا؟ أي...هناك شيء...هنا؟

المرأة : لا تحرك قدمك. لن أتمكن هكذا من فعل أي شيء.

تصرخ المرأة.



: إديث يا إديث ...لماذا لا تأت؟ يجب أن تنظف المكان.

الرجل : أخرجي هذه الديدان. هل تعلمين أنها تأكل الديدان؟ اليرقات والفراشات؟ هل تمكنت منها؟

المرأة : لا ... لكن هناك شيئا ما هنا ... تشرح بإبرة الحياكة. يصرخ الرجل ويسقط من مقعده أرضا.

الرجل : أي! ماذا تفعلين؟

المرأة : إذا لم أدخل إبرة الحياكة، لن أتمكن من سحبها...

يستولي الرجل على الإبرة.

الرجل : سأقوم بالأمر وحدي.

يجلس الرجل أرضا ويبدأ في التشريح، لكن بلا جدوى.

تدخن المرأة وهي تنظر إليه بتأمل.

: هل أنت على ما يرام! لم أتمكن من إخراج هذا الهراء. يجب أن أخضع لعملية جراحية عند عودتي إلى البيت. أدوات جيدة ومعقمة ... الآن يجب أن أرتدي ملابسي!

تبدأ المرأة فجأة بالضحك.

: لماذا تضحكين؟ هل هناك ما يدعو للهزل؟

المرأة : لن يصدقنا أحد...

الرجل : هل تفكرين في أيزنهاور وابنتيه بانغ وأوليفسن؟ في أطفـــال إديث الجائعين الـــذي تخفيهم بين حاويات

الأزيال؟ لا، هذا مؤكد. لن يصدقنا أحد.

المرأة : شكرا للرب. انتهى هذا كله...

الرجل : لماذا تقولين هذا الكلام؟ سنعود فقط إلى ديارنا حيث سنرتاح بضع سنين، ثم سنسافر من جديد.

المرأة : كم الساعة الآن؟

الرجل : لا أدري... هنا لا أعرف كم هي الساعة أبدا...

صمت.

: إذا لم يحضر، فيجب أن نبقى هنا...

المرأة : حينئذ ستبقى وحدك. أما أنا فيجب أن أرحل من هنا...

الرجل : سيحضر بكل تأكيد. كانت هذه مجرد دعابة. ربما الطائرة تأخرت. أو ربما هي فوضى الجمارك. اللعنة إنها تهرش.

ينوع الرجل سترته.

: سأسأل إديث إن كانت تريد هذه السترة! أصبحت ضيقة كثيرا وساخنة جدا. لم أعد أطيقها.

المرأة : أعطيتها سلفا قميصا. وملابس داخلية مستعملة.. يا إلهي! ماذا ستفعل بسترة؟

الرجل : لا بد أن لها رجلا في مكان ما؟ الأطفال الذين تخزنهم خلف حاويات القمامة. لا بد أن يكون لهم من أب. ما هذه الفوضى؟ يمكن أن تعطيه السترة!

المرأة : نعم، أنا لا أتخل في هذه الأمور...

الرجل : إديث ! إديث...

المرأة : إديث اللامرئية تدخل إلى الغرفة، فيحدثها الرجل.

: إديث... يجب أن تحضري عندما نناديك... أمنحك سترتي. أقدمها لك هدية الوداع، يا إديث... يمكنك الاحتفاظ بها أو تقديمها لأب أطفالك... لا بد أنه في حاجة لسترة...

يقود الرجل إديث الخيالية أمام المرآة.

: أعطيك إياها...خذيها.

إديث اللامرئية تختفي.

الرجل : ما رأيك؟

المرأة : في ماذا؟

الرجل : لدي إحســـاس بأنها شعرت بخيبة أمل. ماذا تقصد بهذا؟

المرأة : بالتأكيد كانت مسرورة.

الرجل : مســـرورة؟ لم تبد على وجهها علامات الســـرور... أرغب أن أناديها وأقول لها ذلك!

المرأة : ماذا ستقول لها؟

الرجل : إني لم أعد أطيق إنكارهـــا للجميل! إني لا أحب أن أحاط بأشخاص يكرهونني.

المرأة : هي لا تكرهك.

الرجل : أحيانا لا أطيق هذا الجحود. ربما نحن من يجب عليه أن يشكرهم على الشرف الذي يمنحونه لنا بالبصق على وجوهنا؟

المرأة : توقف الآن. إنها تخجل من الاضطرار دائما إلى أن تقبل هدايانا.

الرجل : هي لا تخجل ولا تعرف معناه!

بتأثر

: لم أحب نظراتها. ماذا تفعل في المطبخ بالضبط؟ اذهبي لتستطلعي الأمر...

المرأة : أنت تتخيل أشياء كثيرة...

الرجل : أنا لا أتخيل أي شيء! أنت الساذجة ولا تفهمين أي شيء. ولو لم أكن حذرا لقتلونا منذ مدة طويلة... يا إلهي! أحيانا تنسين أيضا إغلاق الباب بالمفتاح.

المرأة : يمكنهم أن يدخلوا من السطح أيضا.

الرجل : لن يحدث هذا ماداموا سيدخلون من الباب بهدوء!

صمت. الضفادع تنق...

المرأة : حرارة رهيبة.

الرجل : لديك بالتأكيد وقت للاستحمام قبل مقدمه.

المرأة : لن ينفع في أي شيء.

الرجل : إذن أنت مريضة.

المرأة : لست مريضة مطلقا. أنت المريض.

الرجل : بالنسبة إليّ كل شيء على ما يرام. فقط هذه الديدان... هل أنت بخير؟ هل تحسين بألم؟

المرأة : نعم.

الرجل : إذن أين؟

المرأة : لا أدري...

الرجل : بالتأكيد تعلمين أين تحسين بالمكان الذي يؤلمك! في البطن؟

المرأة : ألا يمكنك أن تدعني وشأني وتذهب لترتدي ملابسك!

الرجل : أحاول فقط أن أبدي قليلا من التعاطف.

المرأة : يا إلهي...

الرجل : لماذا تقولين هذا؟ هل تحسين بالألم في بطنك؟ يمكن أن تكون أي شيء. طفيليات، الأميبات. الأصابع القذرة لإديث... فلتقطع يدي إن لم تكن تبيع الصابون وتدخل مباشرة حاويات الأزبال إلى المطبخ... دعيني أقيس نبضك.

يقيس الرجل نبضها.

إنه سريع جدا!

المرأة : اذهب لترتدي ملابسك. لست على وشك الموت.

الرجل : لكن عزيزتي الصغيرة أريد فقط أن أعرف ما بك؟

المرأة : هل هذا ما تريده؟

الرجل : بكل تأكيد.

يخيم الصمت فجأة

المرأة : هل تسمع شيئا؟

الرجل : لا.

المرأة : صوت غريب؟

الرجل : لا.

المرأة : ظننت أني سمعت أحدا... فكرت. الآن ونحن بصدد العودة إلى ديارنا، يجب أن نبدأ من حيث البداية. لكن هذا لا يمكننا القيام به. لا يمكننا أبدا أن نبتدئ من البداية.

الرجل : هل تتذكرين قردة ليكواكوا؟

المرأة : القردة التي تبولت على تقرير البنك الدولي...

الرجل : كان هناك بول على الصفحة التي شرحت فيها بدقة لماذا أعتبر المشروع كله بمثابة كارثة شاملة. كانت بقعة صفراء تنتشر فوق الصفحة بكاملها...

المرأة : لم ترسل أبدا هذا التقرير؟

الرجل : لم أعد كتابته حتى. أرسلت نسخة ببول القرد هذا



كل شـــيء. ثم حط لدى الإدارة المركزية حيث تمت دراســـته وإدانته ووضع جانبا. حينها أرســـلوا ذلك الطبيب.

المرأة : أحيانا تهيأ لي أني أعرف لماذا تكرهني إديث.

الرجل : لا تكرهك!

المرأة : تكرهني لأني منحتها صدارا لا تشوبه شائبة.

الرجل : صدقا كيف تحسين الآن؟

المرأة : إني بخير، لكن لماذا لم يصل بعد؟

الرجل : يمكنني أن أهاتف المطار إذا أردت؟

يتوجه الرجل صوب الهاتف. يركب أرقاما. يستمع.

لا أحد يرد.

المرأة : ربما المطار مغلق.

الرجل : بالتأكيد لا! وإلا كيف ستحط طائرته... الآن سأذهب لارتداء ملابسي. هل أنت متأكدة أنك بخير؟

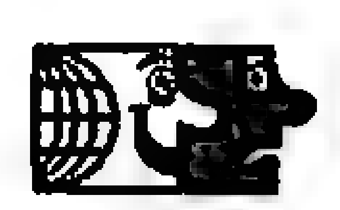
المرأة : نعم...

يختفي الرجل في أعلى الدرج.

يتجلى مرة أخرى، منظر أفريقيا ساعة الغروب.

تفتح المرأة باب المطبخ وتحدث إديث اللامرئية.

: تعالي هنا يـــا إديث... تعالـــي... لا، لا تنطوي على نفســـك... أراك كل صبـــاح تخرجيـــن مع شـــروق



الشـــمس. مباشـــرة من الشـــمس، كما لـــو أنها هي
التـــي تلدك في هذا العالـــم... بحمولة لامرئية فوق
الرأس... في أحد المناسبات تحريت الحقيقة. كنت
تســـيرين نحو المطحنة التي تبعد بثلاثة كيلومترات
تحمليـــن كيس الـــذرة ذي الأربعيـــن كيلوغراما. من
دون توقـــف، ثم عدت للعمل كالعـــادة طيلة النهار...
وعند كل صبـــاح كما لو أنك تنبعثيـــن من جديد...
هـــل تفهمين ما أقوله؟ لا، أنـــا غير مفهومة... أعلم
ذلك. وفي الليل بالقرب من نيران الحطب تسخرون
منا... الرجال البيض الخائفون المنحبســـون داخل
أقبائهم...الرجـــال البيـــض برغباتهـــم الغامضـــة،
عاداتهـــم غير المفهومة...أنت لا تفهمين ماذا نريد،
لكنك تفعلين ما نطلبه منك، ثم تحصلين على صدار
أو ســـترة... كل صباح أراك تخرجين من الشـــمس،
اختفيت يـــا إديث ذات يوم... ثلاثـــة أيام ثم عدت.
رش أحدهـــم دماء دجاجة مذبوحـــة أمام بابك. زال
الســـحر بعد ثلاثة أيام. كان أحدهم يحسدك لأنك
تعمليـــن وتحصليـــن على أجر جيد لـــدى البيض...
أصابك الذعر خلال ثلاثة أشـــهر... ماذا يمكننا أن
نفعل لأجلك؟ كان الدم هنا على الدرج... وتواصلين
وضـــع أطفالك بين حاويات القمامـــة... في كل يوم
تحضرين تشاهدين خوفي اليومي.

مع الكلمـــات الأخيرة للمرأة يظهر الرجل على الدرج مرتديا ســـموكينغ
أسود بلا قميص وبقدمين حافيتين.

تصحب المرأة إديث إلى غاية المطبخ ثم تغلق بابه.

: أنا خائفة.

الرجل : ليس هنا ما يدعو للخوف.

المرأة : هل هذا صحيح؟

الرجل : متأكد من أنه صحيح! يكفي أن تغلقي الأبواب عليك ولا تظهري خوفك. إنهم يستشعرون الخوف، وإذا لاحظوا خوفنا، فإنهم سيتسلقون الحيطان...

المرأة : كما العيش في مقبرة.

الرجل : لا تعودي إلى التتكيد على نفسك.

يذهب الرجل صوب باب الدخول ويبدأ بفتح أقفاله.

المرأة : ماذا تفعل الآن؟

الرجل : يجب تشحيم الأقفال.

المرأة : لا يوجد زيت.

الرجل : ماذا تقصدين بهذا الكلام؟ لقد اشتريت صفيحة كاملة.

المرأة : لقد اختفت. أعتقد أنها إديث...

الرجل : يمكنها أن تسرق أصابعنا إن استطاعت ذلك. سأذهب لطرها. حتى وإن آخر ليلة. طفح الكيل الآن! سأطرد أيزنهاور أيضا. والسترة، ستعيدها إليّ...

المرأة : لماذا تريد طرد أيزنهاور؟

الرجل : ينام، وعندما لا ينام، يسرق.

المرأة : وماذا سرق؟

الرجل : يأكل طعام الكلاب.

المرأة : إنه جائع.

الرجل : لا يهم. أعطيه راتبه كي يحرسنا. وليس لسرقة طعام الكلاب.

المرأة : لديه ثلاثة عشر طفلا وأقارب. عائلة من ثلاثين فردا. يجب أن يطعمهم جميعهم.

خلال المحادثة حاول الرجل فتح الباب من دون أن يفلح في ذلك.

الرجل : ماذا حل بهذا الباب اللعين؟ المفاتيح لا تعمل...لم أتمكن من فتحه...

المرأة : ذات يوم كنا نحب بعضنا...

الرجل : ومازلت أحبك. فقط لم أتمكن من فتح هذا الباب اللعين!

الرجل منفعل أكثر، فأكثر. يتناول الهاتف.

: لماذا لم يحضر: ألو...ألو...

موجها خطابه للمرأة.

: لا أفهم ما يقولونه... هناك شخص يصرخ...

ومتحدثا في الهاتف.

: لوندين... بوانا لوندين السويدي...لا تصرخ...

لاتصرخ...لا...

يقطع الرجل الخط بعنف.

المرأة : ماذا يحصل؟

الرجل : هناك شخص يصرخ! لا أفهم ما يقوله...

المرأة : ربما الرقم خاطئ؟

الرجل : لا يوجد رقم خاطئ! ولا وجود لرقم صحيح أيضا... أين هي جواربي؟ يا إلهي... أين هي إديث؟

المرأة : ربما تسللت داخل أحد حقائبنا... تريد ربما الذهاب معنا...

الرجل : لكن عم تتحدثين؟ لماذا تقولين دائما أشياء غريبة؟ حاولي أن تهدأي! سيحضر خلفي هذا المساء وغدا سنرحل من هنا. لو أني أفلح في فتح هذا الباب اللعين.

المرأة : ربما حدث له مكروه. استعلم عنه مرة أخرى.

الرجل : ماذا يعتقد شخص من «فيستيراي» أن في إمكانه أن يفعل هنا؟ يا إلهي... كما لو أني أراه أمامي: بدينا قليلا. ساذجا، محملا بنوايا حسنة كثيرة، قلقا ... «أنا سويدي» يقول بصوت عال. «سويديش!» سويديش سيتيزن. خبير... لكن لا أحد يصغي إليه. العرق يتصبب منه...

يتناول الرجل الهاتف، يستمع.



: الو...الو... يا للعنة، ماذا يحدث؟

المرأة : ماذا يحدث؟

الرجل : الطبول..كلب ينبح..شخص ما يصرخ...

يضع الرجل الهاتف بسرعة.

: كل شيء على أحسن ما يرام. سيحضر قريبا. إذا لم يرد أن يعيد الكرة. ماذا سنفعل؟ هه؟ ليس خطأي أن كل شـيء قد أصبح عبثا. لما لم يصغوا إلى كلامي؟ لا مزيد من المضخات! دلو ومدوّرة وسلسلة. وليس مضخة. تتعطل، فتسرق... يريدون الماء فقط، إذن فلنحمله بدلو وسلسلة... ماذا دهاك؟ أنت مضطرة إلى أن تظهري حزنك الشديد؟

المرأة : توقف الآن... هاتف المطار.

الرجل : لا أحـد يـرد. قلت لـك هذا قبـل قليـل! الطبول والـكلاب...ألا يمكن قضاء وقت ممتع؟ يجب دائما أن تكون الحياة أكثر تعقيدا! هذا يخيفني.

المرأة : لا هذا لا يخيفك.

الرجل : ماذا تعرفين أنت عن روحي؟

المرأة : أكثر مما تعتقد.

الرجل : لماذا أحاديثنا جميعها مصطنعة دائما؟

المرأة : اعتقدت أن روحك هي موضوع حديثنا؟

الرجل : هذه هي الإجابة الأكثر شرا والأكثر إثارة للاشمئزاز

التي قيلت لي يوما.

المرأة : لم أكن أقصد ذلك... كان شابا...

الرجل : من؟ عمن تتحدثين الآن؟ تغيرين الحديث طوال الوقت. كيف يمكن متابعتك؟ عمن تتحدثين؟

المرأة : الأفريقي الذي كان مستلقيا ميتا على درجنا! كان مجرد طفل.

الرجل : كان عمره سبعة عشر عاما تقريبا! في هذا الجزء من الأرض، يعني هذا أنه عاش نصف عمره.

المرأة : ربما كان جائعا فقط! مثل أيزنهاور وإديث وأطفالهم جميعهم!

الرجل : إذن كان عليه أن يأخذ معولا ويحرث الأرض، لكن هذا لم يفعله. مات على درجنا لأنه كان كسولا. يجب أن تفهمي كيف تجري الأمور. لو كان في مقدوره، فسيتسلل إلى هنا. أنا سيقطع رأسي، وأنت سيغتصبك، قبل أن يقتلك، ثم سيسرق كل ما سيتمكن من حمله. هكذا تحدث الأمور. إنهم يكرهوننا.

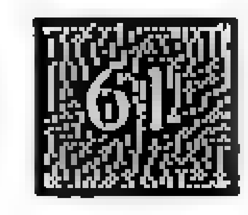
يعم الصمت من جديد.

المرأة : اذهب لترتد ملابسك. سيحضر بعد حين.

الرجل : لم أعثر على قميصي.

المرأة : وضعته منذ قليل فوق السرير.

يبدي الرجل غضبا مفاجئا.





الرجل : لكني لا أجدها! هل تعتقدين أن سـكب الكحول على قدمي سيخفف الألم؟ أليس لدينا مرهم؟

المرأة : أنت تعلم أن كل شيء موجود في الحقائب.

الرجل : أحب كثيرا أن أعرف من أين أتت هذه القنينة الفارغة إلى البيت؟

المرأة : قلت لك إني لا أعرف.

الرجل : لا يمكن أن تأتي لوحدها إلى البيت. لو كنت أفريقيا لقلت أن هذه سحر. لا جناح للقنينة ولا قدمان.

المرأة : قلت لك لا أعرف كيف حدث ذلك!

الرجل : فهمت...

المرأة : فورا. في الليل أحلم بحقائبنا...

الرجل : هـذا ليـس حلمـا! لا يوجد شـخص عاقـل يحلم بالحقائب!

المرأة : أحلم بأني وصلت إلى البيـت وبينما أفرغ الحقائب وجدت داخلها من مات على درجنا...

الرجل : لمـاذا تحلمين أحلاما غريبة؟ أنا توقفت عن الحلم. أنا مرهق جدا.

المرأة : ماذا سيحدث لإديث وأبنائها وبناتها؟

الرجل : سـتواصل إديث إنجـاب الأبناء والبنات. وسـيكون لوندين الاسـم القادم لأحد أبنائها. ربما سيحسون ببرد أقل اعتمادا على السـترات التي منحناها لهم،

والقمصان الحرير الأصلي...

المرأة : ألا يزعجك، ألا يزعجك ما سيحدث لهم!

الرجل : لا تبدئي بالانفعال هكذا! بالطبع يزعجني مصيرهم. ولم أفعل شيئا غير محاولة مساعدة هؤلاء التعساء. لا تنكدي على نفسك هكذا...

يتوجه الرجل إلى إلقاء نظرة على الخارج من خلال الستائر السميكة.

المرأة : هل مازال أيزنهاور نائما؟

الرجل : ينام. يمكث مقرفصا حتى يبدو مستيقظا، لكنه ينام...

بهدوء

: يمكنني قتله.

المرأة : من؟

الرجل : أيزنهاور. أكره هذا الكسل. هذا الخنوع. أكاذيبه. تماما كما يمكنك أن تفكري أنت أيضا في قتل إديث.

المرأة : هذا غير صحيح!

الرجل : بطبيعة الحال صحيح! لا تتوتري هكذا. ما الغريب في هذا؟ لا غرابة إطلاقا...

الطبيعة الأفريقية تظهر شيئا فشيئا بجلاء.

تبدو المرأة مصدومة بما قاله الرجل قبل قليل.



المرأة : ما حدث كله..متى سنتحدث عنه؟

الرجل : هيا تحدثي. ها أنا أسـمع... لكـن يجب أن أرتدي ملابسي وأنت أيضا...

المرأة : وهل بمستطاعي ذلك؟

الرجل : تسألينني أنا؟

المرأة : نعم.

الرجل : إذا لم تستطيعي ارتداء ملابسك، فستستقبلين خلفي مكشوفة. أو اطلبي من إديث، يمكنها مساعدتك.

المرأة : ليس هذا ما أردت قوله.

الرجل : إذن ماذا تريدين قوله؟ لا أعلم أبدا ما تريدين قوله. كنت في زمن مضى أعرف ما تريدين قوله، لكن ليس الآن. أصبحت مثل أفريقية. لا أفهم ما تقولينه، ولا أعلم ما تفكرين به. إذا أنجبت طفلا، فربما سيكون أسود...

يعد الرجل بارتباك خليطا من المشروبات ويتناول الهاتف.

: أترين هناك نملا أبيض في الهاتف.

المرأة : ماذا كنت تفعل طوال أسفارك؟ عندما كنت أنا وحيدة هنا مع الكلاب؟

الرجل : أنـت تعرفيـن التفاوض مـع السـود العنيدين ذوي الرائحـة الملحيـة، والتعرق والعطور السـيئة. في الأمكنة التي حفرنا بها آبارا. لماذا تسـألينني هذا السؤال؟

المرأة	:	أين كنت تقيم؟
الرجل	:	في الفنادق ذات الأسماء المفردة «رأس الفيل» تل سبرينغبوك. لماذا تسألينني وأنت تعرفين ذلك سلفا؟
المرأة	:	ماذا كان لديك داخل حقيبتك؟
الرجل	:	خفان ومنامة وقبعة شمسية متسخة...لا أتذكر.
المرأة	:	آلة فوتوغرافية.
الرجل	:	أنت ومخيلتك السخيفة!
المرأة	:	لماذا لا تأخذ الأمر بهذا السوء؟
الرجل	:	أنا مرهق...
المرأة	:	أنا مرهق. أنت مرهق لأنك تكذب...
الرجل	:	أنا لا أكذب! لا أكذب أبدا!
المرأة	:	تقدم للفتيات الصغيرات نقودا قذرة وربطات عنق قديمة، كي تصورهن في أوضاع مخلة.
الرجل	:	لا أعلم عم تتحدثين...
المرأة	:	تعتقد أنك خبأت الصور. تعتقد أني لا أعلم شيئا!
الرجل	:	لا أعرف شيئا...
المرأة	:	هل تريد أن أريهم لك؟ هل تريد أن أريك الصور التي التقطتها؟
الرجل	:	لا أريد شيئا ليس حقيقيا... لا أعلم من أين أتت



هذه الصور! ومن أين أتت قنينة الشـراب؟ لا أعرف شيئا...

المرأة : أطفال العشر سنين. في أوضاع مخلة، من أجل بعض النقود وربطات عنق متسخة...

الرجل : لا أعلم عمن تتحدثين؟

المرأة : ماذا ترى عندما تنظر إلى المرآة؟

الرجل : أرى رجلا قدم إلى أفريقيا من أجل مساعدة أشخاص يعانون البؤس!

فجأة، يحضن الرجل المرأة.

: الآن سنهدأ...

المرأة : هل ستقبلني أم ستخنقني؟

تضرب المرأة الرجل على وجهه.

: أيها الخنزير!

الرجل : لماذا تقولين هذا الكلام؟

تضربـه مرات متتالية، ثم تتوجه صوب المزهرية، تتناول مسدسا كان يوجد داخلها.

: ماذا تفعلين؟

المرأة : الشيء الوحيد الذي أرغبه. سأقتلك...

الرجل : اللعنة! إنه محشو بالرصاص...

يصرخ.



: إديث ، خذي عني هذه المجنونة.

المرأة : أغمض عينيك...

الرجل : لماذا؟

المرأة : افعل ما أقوله لك...

الرجل : ها أنا أغمض عينيّ.

تضع المرأة المسدس على رأس الرجل، ثم تخفضه.

المرأة : عندما اكتشفت تلك الصور، هل تعلم ماذا حدث؟ اختفت الظباء. لم أعد ألمحها. لم أصدق ذلك. كانت قد اختفت. بدأت أحلم أحلاما أخرى. لقد أخذت مني ظبائي. وهذا، لن أسامحك عنه أبدا.

في اللحظة نفسها انفتح باب الدخول. حضر لونديـن مرتديا بدلة قنص قديمة. على رأسه قبعة كلونيالية بيضاء. وملطخ بالدماء. يدخل إلى الخشبة، رافعا قبعته ومحييا. مثل ستانلي[1] الذي بعد سنوات طويلة من المحن، تمكن من العثور على يفينغستون[2] .

---

(١) السير هنري مورتون ستانلي ولد باسم جون رولاندس، في٢٨ يناير١٨٤١ وتوفي في ١٠ مايو ١٩٠٤م المعروف في جمهورية الكونغو الديمقراطية بلقب بولا ماتاري (أي محطم الصخور) كان صحافيا ومستكشفا ويلزيا يعرف باستكشافاته لأفريقيا وبحثه عن ديفيد ليفينغستون.

ولد هنري مورتون ستانلي في دينباي، ويلز. انتقل إلى نيوأورلينز عام ١٨٥٧. بعد القتال لكلي الطرفين في الحرب الأهلية الأمريكية، انجرف إلى الصحافة. تغطيته لحملة اللّورد نابيير الأثيوبية في عام ١٨٦٨ أربحته شهرة صحفية، فكلّف للذهاب إلى أفريقيا لإيجاد ديفيد ليفينغستون. عثر ستانلي على مكان المستكشف العظيم في بحيرة تانغانيكا في ١٠ نوفمبر ١٨٧١، وخاطبه بكلماته المشهورة «أفترض أنك الدكتور ليفينغستون؟»

(٢) ديفيد ليفينغستون رحالة أسكتلندي مشهور (١٨١٣ - ١٨٧٣) اكتشف مناطق شاسعة من إفريقيا الشرقية. كانت عونا للحملات الكولونيالة الإنجليزية في المنطقة لتنفيذ خططها الاستعمارية. (المترجم) .

الفصل الثاني

إظلام سريع

بعد بضع ساعات وفي المساء نفسه. الغرفة والدرج مازالا على حالهما.

لكن الطبيعة الأفريقية تسربت أكثر فأكثر. يوجد بين الأثاث عشب الفيلة، آلاف الضفادع تنق وأفراس النهر تتنفس في الأرجاء.

يقف الرجل في نفس المكان الذي وقف به عند بداية الفصل الأول.

يصغي بنفس الانتباه. ملابسه نفسها لحظات بعد ذلك تنزل المرأة من الدرج. ترتدي الملابس نفسها التي كانت ترتديها عند نهاية المشهد الأول.

ربما بمساحيق أكثر. يتأرجح من أذنيها قرطان فضيان على شكل أفعى.

تحمل بذلة الرجل. سموكينغ سوداء.

الرجل : كم أنت أنيقة! لكن لماذا لم ترتدي الفستان الذي اشتريته لك من القاهرة؟

المرأة : وضبته داخل الحقيبة.

الرجل : لن أمل أبدا من جمالك. ربما هذا هو الشيء الوحيد، الذي لم أتأسف عليه أبدا في حياتي طوال فترة زواجنا!

المرأة : توقف الآن عن الشرب ...

الرجل : أعتقد ذلك حقا يا إليزابيت! أؤمن بكل كلمة قلتها.



: ماذا يفعل في الأعلى؟

المرأة : يأخذ حماما متخبطا في الماء كطفل.

الرجل : هل قال شيئا؟

المرأة : نعم.

الرجل : ماذا قال إذن؟

المرأة : كيف يمكن أن يكون الدم أشد حمرة بينما الظلام في الخارج؟

الرجل : ماذا يقصد؟

المرأة : في الواقع لم أسأله.

الرجل : ألـم يقل شـيئا آخـر؟ لا ... غير محتمـل... ربما الجمركي من خدش وجهه؟ أو فهد. أرجوك، أعطني شـيئا لأشـربه... لا أسـتطيع تحمل هـذا النقيق فـي حنجرتي... كما لـو أن ضفـادع حامية داخل دماغي...

تقدم المرأة كأسـا للرجل. صوت جيسـي بيورلينغ يصـدح من مدورة أسطوانات.

المرأة : ارتد ملابسك الآن. سينزل قريبا.

الرجل : يمكنه ربما أن يسـتخرج الديدان مـن قدمي...من يدري قد يكون عمل جزارا ذات يوم؟

تمد له المرأة ملابسه.

: لا أريد ملابس!

ومن دون أن تصغي له تبدأ المرأة في إلباسه أرديته. لا يقاوم ولكنه لا يتوقف عن الكلام.

: ماذا يفعل بالضبط في الأعلى؟ كم من الوقت سيتخبط في الحمام؟ ذهبت لتوديع بنغلر ذلك اليوم... هل أخبرتك بذلك؟ قدم لنا جمجمة قرد مجففة هدية وداع. أعتقد يمكن أن نستعملها كحصالة. بدا بنغلر مرهقا. يخشى أن ينتحر أثناء النوم. يحتفظ دائما بمسدس تحت الوسادة. ولكي يبقى ساهرا كان يغني لنفسه أناشيد خاصة. كان حزينا. مهما حصل، فإنه رجل طيب... لم تكن لديه أبدا نوايا سيئة...

المرأة : إنه مجرم.

الرجل : أطلق النار مرة واحدة على سارق. هذا ما حدث فقط.

المرأة : لم يكن سارقا. بل ابنة خادمته.

الرجل : وكانت سارقة!

المرأة : كان عمرها تسع سنوات.

الرجل : كيف كان سيعلم؟ كان المكان مظلما، فما حدث وقع ليلا.

المرأة : كان عمرها تسع سنوات ومع ذلك أطلق رصاصة على رأسها.

الرجل : لماذا تصرخين؟ ماذا سيظن من في الأعلى؟ في كل الأحوال، ما حدث خلال تلك الليلة، لن تطلعي عليه...

ارتدى الرجل الآن بدلة السموكينغ.

الرجل : أين الجوارب؟

المرأة : طلب أن يستعيرها. ضاعت حقيبته.

الرجل : مازال في الحمام؟ ماذا يفعل بالضبط؟ هناك؟ لن أمضي الليل برمته، أحدثه عن العمل الذي سيتولاه! ماذا يفعل في الأعلى؟

المرأة : سأحدث إديث عن الطعام...

الرجل : يستحم العاملون جميعهم ويرتدون ملابس لائقة كي نقدمهم لسيدهم (بوانا Bwana) الجديد.

المرأة : في هذا الليل؟

الرجل : إذا كان ضروريا... يجب حبس كلاب الحراسة، كي لا تنقض على اللوندين...

المرأة : سأطلب منهم ذلك. عندما ينزل قدم له شيئا يشربه.

تختفي المرأة داخل المطبخ. يتخذ الرجل وضعيته المعتادة للإصغاء، لكنه كما لو أنه سينهار. يهمس لنفسه بأشياء غامضة. كما لو أنه منخرط في مشاحنة عنيفة. ينزل لوندين على الدرج. يرتدي بذلة وربطة عنق منسقة بشكل جيد. يشي وجهه ببراءة طفولية. رجل غير واثق من نفسه. رجل بلا أصدقاء كثيرين. ولأنه يمسح يديه باستمرار ندرك أنه مصاب بفوبيا الميكروبات. على وجهه جزء من لاصق طبي وخدوش ملحوظة. كما لو أن فهدا حرث وجهه بمخالبه. عندما رآه الرجل بدأ يشتمه ككلب، ثم غير فجأة سلوكه. الضعف والتوتر اختفيا. يبدو الآن مسيطرا على الوضع ومتمالكا نفسه.



الرجل : يا سـيد لوندين! كنت أتساءل إذا ما كنت قد غرقت فعـلا؟ هل كان ماء سـاخنا؟ لم نحصـل أبدا على الحرارة المناسـبة! لم نتعارف بعد. حسـنا اسمي لارس.

لوندين : مارتان...

الرجل : كنا نحمل أسـماء، كهذا فـي أجيالنا. لارس، مارتان سفين-أولوف. خاصة سفين-أولوف. بهذه الأسماء انتشرنا في أنحاء العالم... ماذا تحب أن تشرب؟

لوندين : سأشـرب بامتنان شـيئا منعشـا. إذا توافر طبعا. سيكون شيئا حسنا.

الرجل : هل لدي مشـروب منعش؟ لا توجد مشـروبات منذ مـدة طويلة، أنهـار المعصرة الأخيـرة انهارت، لأن قطع الغيار غير متوافرة بطبيعة الحال. بعض عمال المعصرة انتزعـوا درابزيـن الأدراج، وصنعوا منها أسـرة حديدية. باعوها فيما بعد منتفعين بمالها... لكن لدي مشروباً آخر...

لوندين : إذن سأشرب هذا المشروب. شكرا.

الرجل : تريد ثلجا؟

لوندين : لا شكرا.

الرجل : هل مرت الرحلة في ظروف حسنة؟

لوندين : تأخرنا قليلا في كينشاسا...

الرجل : عادة تكون مواعيد اللوفتانزا دقيقة.



لونديـن : أصيب أحد الديبلوماسيين من فولتا العليا بحالة صرع مع لحظة إقلاع الطائرة. أو ربما كان مخمورا.

الرجل : مزعجـة هذه الأمـور. تعكـر إيقاع السـفر..هذا لا يصدق؟ أحاول أن أتفادى السـفر مع الشـركات الأفريقيـة. الله وحده يعلم كيـف تتم عملية صيانة طائراتهـم. لطف النادلات فظيع، لكن الربابنة غالبا ذوو شـباب مقلق. نتسـاءل إن كان يتجاوزهم قليلا عالم الإلكترونيك. كان من المفروض بطبيعة الحال أن أستقبلك في المطار، لكن كنا متأخرين في جمع أمتعتنا، كما أننا سنسـافر غـدا... هذا هو منزلك. يجب أن أعترف بأنه منزل جميل. حسّنا كثيرا أمنه في السنوات الأخيرة... حدثت هنا بعض الصدامات. وهوجمت قلة من البيض... وقتل عدد لا بأس به من الأفارقـة. لكنك تعلم هذه الأمور سـلفا... تعد لك إليزابيت وإديث شـيئا للأكل..في صحتك ومرحبا بك هنا.

لونديـن : شكرا.

الرجل : إن اختفـاء حقيبتك أمـر مزعج، لكن سـيجدونها بالتأكيـد قريبا. الأشـياء جميعهـا تختفي في هذه القـارة. ألم نلتق فيما مضى؟ يتهيـأ لي أننا تعرفنا على بعضنا!

لونديـن : ربما في كينيا.

الرجل : أعتقد، على الأرجح، في القاهرة.

لونديـن : في البوروندي؟



الرجل : الآن عرفت، في لومباشـــي – ٨١. في مؤتمر هجرة الجواميس نحو الماء...

لونديـن : أليس حول تحويل الطاقات؟

الرجل : لا! كان حـــول جواميس الماء. كان تحويل الطاقة في روانـــدا. عندما كان يحصل كل مشـــارك على حامل ملفات من جلد التمساح. وكان علينا أن نضع علامة على أي نـــوع من المتعة نريد، لكن شـــخصا يدعى بنغلي أخطأ، فوجد نفسه في ورطة. ربما صادفته.

لونديـن : نصادف الكثير من الأشـــخاص. من الصعب أن تميز وجوههم.

الرجل : أنا متأكد أننا التقينا...

لونديـن : توجد هنا ضفادع كثيرة!

الرجل : والديدان أيضا.

لونديـن : الديدان؟

الرجل : شهدنا في المدة الأخيرة اجتياحا عنيفا للطفيليات، لكن فيما يخـــص الضفادع يمكن تجهيز البســـتاني برشاش المبيدات.

لونديـن : هل هو رجل شجاع؟ حي الضمير؟ ويعمل بجد؟

الرجل : من ؟ مولوسا، إنه كاذب وكسول، لكنه مهذب، ينتمي إلى الجيل الأفريقي، الـــذي تعلم فن الخضوع، لكن أن تجعلـــه يتخلى عن ســـقي أوراق الطماطم، فهذا مستحيل..هل تريد مزيدا من الشراب؟

لوندين : نعم، شكرا.

يقدم له الرجل كأسا أخرى.

: ممتع إني وصلت، كانت رحلة مرهقة.

الرجل : كف باردة تنزل على الصدر...

لوندين : عفوا؟

الرجل : أليست أفريقيا هكذا؟ بالنسبة إليّ، على الأقل. لن أتعود عليها أبدا. أبدا...

لوندين : كل شيء هادئ؟

الرجل : هادئ؟

لوندين : كانت الأمور مضطربة في السنين الأخيرة. صدامات وثورات بسبب الجوع. انقلاب عسكري كاد ينجح. إعدامات لا تتوقف.

الرجل : لم تكن أفريقيا هادئة أبدا، لكن الآن، الأفارقة يقتلون بعضهم، ونحن البيض يمكننا أن نتنفس الصعداء. رئيس الشرطة، يدعى ميستر بيهري، يأتي لزيارتي باستمرار. يمكن أن ينفع في حالة حدوث مشكل. على أي حال البوليس السري هو الوحيد الذي يعمل في هذه البلاد. رسميا يسيره كولونيل مزعج يدعى واطسون ميدينغا. لكن في الحقيقة هو قبطان ألماني متقاعد، يتحكم في كل شيء...

لوندين : بعنف غير متوقع. لست خائفا!

الرجل : خائف؟

لوندين : خائف...

الرجل : اللعنة! ومن لا يخاف؟ البيض جميعهم يحسون بالخوف. وإذا قلنا العكس، فسيكون لا معقولا. لكن لدينا هذه القدرة الوراثية على تحمل الكراهية التي تحيطنا بشكل دائم.

لوندين : أحببت هذا المنزل.

الرجل : ليس منزلا ...

لوندين : هذا جيد. ليس منزلا؟ وماذا سيكون إذن؟ إذا لم يكن منزلا؟

الرجل : إنه حصن.

لوندين : أين الحارس الليلي؟

الرجل : ينام.

لوندين : والكلاب؟

الرجل : أحيانا تختفي.

لوندين : تختفي؟

الرجل : تهرب!

لوندين : لكن هناك أسوارا عالية بسقف زجاجي؟ كيف يمكنها أن تهرب؟

الرجل : لا أدري. مادامت تعود، فالأمر سيان بالنسبة إليّ.

لوندين : ما اسم الحارس الليلي؟

الرجل : يدعى أيزنهاور. لن نجد أفضل منه. امنحه حذاء



بين الفينة والأخرى. سيسعد بذلك...

لوندين : ألا يوجد من يعوضه؟

الرجل : ستالين...

لوندين : عفوا؟

الرجل : يدعى هكذا ستالين. أيزنهاور من أحضره. ربما بينهما قرابة. ربما والده. لا أعلم. لكن الرجل يدعى ستالين.

لوندين : رائحته رهيبة...

الرجل : من؟

لوندين : الحارس الليلي.

الرجل : رائحة قبيحة؟

لوندين : عندما فتح باب سيارة الأجرة.

الرجل : كيف هي هذه الرائحة القبيحة؟

لوندين : حسنا كان نتنا.

الرجل : تفوح منه نتانة؟

لوندين : ليست هناك ست وثلاثون طريقة للرائحة القبيحة؟ إنها رائحة..تشبه شيئا يتعفن.

الرجل : مثل أمعاء خروف متعفنة؟

لوندين : ربما! لا أعرف رائحة أمعاء الخروف المتعفنة.

الرجل : تريد أن تقول إنه لا يستحم؟

لوندين : بدا كذلك.

الرجل : تفوح منه رائحة السخام؟

لوندين : نعم!

الرجل : الحارس الليلي؟

لوندين : الأفريقي الذي فتح الباب.

الرجل : الحارس الليلي من فتح الباب.

لوندين : لا بد أنه هو...

تحضر المرأة من المطبخ.

المرأة : أنت هنا! ناسبتك الجوارب؟

لوندين : نعم ممتازة شكرا...

المرأة : الطعام سيجهز حالا. تعد إديث سلطة. أفترض أنك، في كل الأحوال، في المرحلة الأولى، ستحتفظ بها. بعد ذلك يمكنك التخلص منها، وتحضر خادمة أخرى. لكن يجب أن أعترف بأنها جيدة ونظيفة وأنيقة وعاملة جادة. لا تمرض ابدا...

الرجل : تشتغل مكشوفة أحيانا.

المرأة : أبدا. ترتكب بعض الأخطاء، لكنها مخلصة وجدية.

موجهة كلامها للرجل.

: هل أطلعته على المنزل؟ المسبح؟

موجهة كلامها للوندين.

: المسبح.





الرجل : يجب طرد أيزنهاور.

المرأة : لماذا هذا؟

الرجل : لأنه نتن.

لوندين : ربما كنت مخطئا... ربما كان هناك تسرب للصرف الصحي، في مكان ما...

المرأة : أيزنهاور يرتدي ملابس نظيفة.

لوندين : ربما كان شيئا آخر...

: لم تفح من أيزنهاور أبدا أي رائحة قبيحة طوال السنوات جميعها، التي قضاها عندنا.

لوندين : السائق من تفوح منه الرائحة! أجل هذا هو...

الرجل متحدثا للمرأة. أيزنهاور يستقبل سيده الجديد فائحة منه رائحة أمعاء خروف متعفنة!

المرأة : هذا مستحيل. أنا أراه كيف يستحم كل صباح. نقدم له قطعة صابون شهريا.

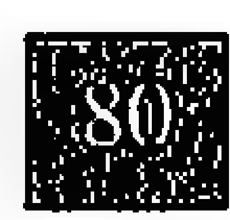
الرجل : لم ألحظ أبدا أن أيزنهاور رائحته قبيحة.

لوندين : أنا متأكد من خطأي.

المرأة : سيحس بالأذى، إذا قال له أحد أن رائحته قبيحة.

الرجل : سيحرج. الأفارقة شديدو الحساسية من هذا الجانب. لديهم كرامتهم، فرغم الفقر لديهم كرامتهم. وغالبا تكون أكثر أهمية من كرامتنا.

لوندين : أرجوك لا تتحدث أكثر في هذا الموضوع. ربما أخطأت...





المرأة مخاطبة الرجل

: أرجوك صب لي كأسا.

: كيف تركت الكاميرون؟

: لوندين الكاميرون لم أذهب إليها أبدا.

المرأة : لا بد أن الجفاف رهيب في الأعلى...في صحتك وأهلا وسهلا بك. للأسف لقاؤنا قصير. يجب أن نرحل غدا. هل مكثت طويلا في الكاميرون؟

لوندين : لا بد أن سوء تفاهم قد حدث. لم أذهب أبدا إلى الكاميرون. كينيا.

المرأة محدثة الرجل

: أليس بنغلر من كان مؤخرا في الكاميرون؟ ألم يقل أن الجفاف رهيب هناك؟

الرجل : بالنسبة لبنغلر، فدائما هناك جفاف أو فيضانات. لكني لا أعلم إذا ما كان يتحدث عن الكاميرون...

المرأة : بنغلر رجل لطيف. سيكون لديك الكثير ما تفعله معه.

لوندين : حسنا إذن؟

فجأة يبدأ كلب بالنباح أمام البيت.

المرأة : هناك شخص قادم. في هذا الوقت المتأخر؟

ينظر الرجل بحذر من خلال الستائر.

: من هناك؟

الرجل : مستر بيهري.

المرأة : لماذا يأتي الآن؟

الرجل : لكي يودعنا. ولتحية خلفي.

المرأة : سأصعد إلى الأعلى. في الانتظار. لا أريد أن أراه.

تختفي المرأة داخل المطبخ.

الرجل : زوجتي لا تحب مستر بيهري. تخاف منه...

يخفي الرجل القنينات جميعها. يفتح أقفال باب الدخول جميعها. يدخل مستر بيهري اللامرئي.

المناظر الطبيعية الأفريقية حاضرة بقوة.

: مستر بيهري.. هذا غير متوقع! في هذا الوقت المتأخر. لا! أنا كاذب في هذا! كنت أتوقع حضورك، في كل لحظة... لكن ادخل! ادخل! آه لا ! حسنا اسمح لي أن أقدم لك خلفي...

بدأ لوندين يتحدث بلغة إنجليزية رديئة:

I am Mister lundin. But you can call me Martin. I am the new man in charge of the water ...affairs...very nice to meet you

الرجل : إذن هو وقت تغيير الحرس. مستر بيهري... ليس غريبا أن نقول وداعا لبعضنا، ولكنه أمر ضروري. لديك مشاكل؟ هل لديك مشاكل؟ أنتم من تستطيعون اعتقال من شئتم وأيان شئتم ولأي سبب كان وحتى وإن لم يكن هناك سبب. بيد أنه لا يوجد إلا



شخصان يمكنهما اعتقالك: السيد بيهري ووزير الداخلية سكرتير الحزب الذي يتلقى أوامره مباشرة من رئيس الدولة. لكن وزير الداخلية أحد أقاربك... أخوك؟ هذا جيد، لم أكن أعلم. أخوك! هذا يجعلك، مستر بيهري، محصنا أكثر. على الأقل مادام النظام مستتبا في البلد. لكن بماذا يمكن أن أخدمك هذه الليلة؟ أمنية أخيرة... لم تحضر مهما يكن لاعتقالي؟ كنت أتساءل ما هي الهدية التي سأقدمها لك بمناسبة توديعك لي؟ زوج من الأحذية المطاطية من أجل فصل الشتاء؟ آلة خياطة لإحدى نسائك؟ أو بعض المال؟ لكن في كل الأحوال يمكنك أن تحصل على الكثير منه..بشرط ألا تلمس مضخاتنا، في المقابل لدي رجاء يا مستر بيهري، غدا عندما نعبر الجمارك أريد من أصدقائك أن يغضوا الطرف. نريد أن نأخذ قليلا من العاج إلى وطننا... لفيلة ماتت ميتة طبيعية؟ بالتأكيد! وماذا أيضا؟ إذا كان يجب أن نقول ما نفكر فيه حقا، يا سيد بيهري، فماذا سيحدث يا ترى؟ بالضبط... لهذا لا نقول شيئا... والسيد لوندين، خليفتي، هو الضامن أن الأمور ستستمر كما في السابق. الوداع، يا مستر بيهري...الوداع...لن نلتق أبدا...الوداع...

يرافق الرجل مستر بيهري اللامرئي إلى غاية الباب، ثم يغلقه وراءه.

يبدأ كلب بالنباح، لكنه يصمت متألما، كما لو أنه تلقى ضربة...

: إذن ما رأيك في مستر بيهري؟

لوندين : يظهر أن له سلطة كبيرة.



الرجل : نعـــم يتمتع بذلك، لكنـــه زنجي أبله وبليـــد. مهم أن تكســـبه إلى جانبك، لكن يجـــب أن تحتاط منه! لأنه يمكن أن يصبح خطيرا...

لوندين : أعـــرف كيف أتعامـــل مع هؤلاء. إنهـــم في كل مكان يتشـــابهون... لا أدري إن كنـــت قـــد اطلعـــت على التعليمات الجديدة التي تأتي من الإدارة المركزية؟

الرجل : دائمـــا هناك تعليمات جديدة مـــن الإدارة المركزية، لكني ألقيها في سلة المهملات...

لوندين : تلح الإدارة على الحذر من الأشخاص الذين يطلبون رشوة.

الرجل : الغباء بلا حدود! والســـذاجة بـــلا حدود! ماذا يفهم سياسيونا عن العالم؟ ماذا يعرف نائب رئيس مجلس الإدارة الخبـــاز من فايرمون عن أفريقيا؟ منذ خمس وعشرين ســـنة وهو يصنع الحلوى مســـتيقظا على الســـاعة الثالثة صباحا، ليعد العجين كل صباح، ثم أصبح سياســـيا محافظا ولأنه بلا كفاءات كليا فقد اضطـــر إلى أن يختار بين اللجنـــة الثقافية أو لجنة التنميـــة الاجتماعيـــة. ولأنه أيضا يخـــاف الكلمات المجهولـــة والفنانين المحتجين، فقـــد اختار لجنة التنمية الاجتماعية. يعتقد دوما أن الزنوج يخضعون مـــا أن تشـــد آذانهـــم. ويعتقد أيضا أنهـــم يعترفون بالجميل. ولكن الواقع أنهـــم بعيدون وبعيدون جدا. سيصاب بالذعر إذا رأى زنجيا يسير في أحد شوارع فايرنامو مرتديـــا بذلة... لم يفهم سياســـيونا أبدا العالم. بينما رجل الأعمال استوعبوه جيدا ولهذا لا

يصبح رجال الأعمال أبدا سياسيين...

تعود المرأة من المطبخ.

ويختفي الرجل سريعا في أعلى الدرج.

المرأة : هل كل شيء على ما يرام؟

لوندين : الأمور جيدة جدا. أحببت كثيرا هذا المنزل...

المرأة : يجب أن تسامح زوجي لأنه خرج هرعا. قدمه تتهشه بضراوة. خرج كالريح كي يهرش قدمه بسلام... سيكون الطعام جاهزا بعد قليل...هل تريد مشروبا آخر؟

لوندين : بكل سرور، نعم شكرا!

ينحني لوندين صوب القنينة في الوقت ذاته التي تنحني في المرأة.

المرأة : أوه عذرا! بصحتك!

لوندين : بصحتك! ساهم زوجك إسهاما حقيقيا في تنمية ملحوظة لهذا البلد.

المرأة : ثلاثة.

لوندين : عفوا؟

المرأة : تعمل ثلاثة آبار. بعد عشر سنوات من العمل. بعد مائة مليون كورونة. ثلاثة آبار تعمل. الأوضاع لم تتحسن فقط بل صارت أسوأ.

لوندين : يجب النظر إلى المدى البعيد.

المرأة : لقد حاول وهذا ما يجعله يسير نحو الجنون.

لوندين : أعلم أنه الإرهاق...

المرأة : بهدوء شديد. إنه قاتل.

لوندين يضحك : حسنا؟ هذا ليس شيئا هينا...

المرأة : هل يمكنني أن أطلب منك شيئا؟

لوندين : بالتأكيد.

المرأة : إذا وضعنا فوهة مسدس، سحب منه صمام الأمان، فوق وجه طفلة زنجية ثم أطلقنا النار. ماذا سيحدث؟

لوندين : لم أفهم بالضبط ماذا تقصدين بكلامك.

المرأة : ماذا سيحدث؟

لوندين : ستموت الطفلة...

المرأة : سينفجر وجهها كله. بماذا ستفكر؟

لوندين : بماذا ستفكر؟

المرأة : ما هو آخر شيء فكرت به؟ ما هو آخر شيء فكرت به؟

لوندين : بالنسبة لي، بدأت الأمور تتعقد قليلا ...

يصب لوندين لنفسه مزيدا من المشروب، فيبدأ بالانتشاء.

المرأة : إنه قاتل.

لوندين : لا يمكنني تصديق ذلك...

المرأة : ماذا يفعل في الأعلى؟

لوندين : قلت إنه صعد ليهرش نفسه.

المرأة : يراقب المسدس الموضوع تحت وسادته، إذا كان محشوا برصاص حقيقي، لأنه يظن أن إديث تستبدل الخرطوش برصاص مزيف.

لوندين : لسنا حذرين طوال الوقت، أنا من عادتي الا اترك أسلحتي جميعها من دون مراقبة.

المرأة : كم قتل من شخص؟ لا أعلم...

لوندين : لم أفهم ما تقولينه...

المرأة : ماذا في مقدوري أن أقول أكثر من هذا: إنه قاتل.

يخيم الصمت...

: مارتان! مارتان! هل بإمكاني أن أطلب منك شيئا؟

لوندين : بالتأكيد! إذا استطعت الإجابة...

المرأة : لست مضطرا للإجابة. اسمع فقط سؤالي...

لوندين : ها أنا أصغي...

المرأة : تسمع وقع خطواته ...

لوندين : لا...

المرأة : لقد تعلم أن يتنقل من دون أن يسمعه أحد...هل رأيت قدميه؟

لوندين : نعم...لا يرتدي حذاء.

المرأة : لديه قائمتان بمخالب طويلة وحادة...

لوندين : ما رأيت سوى قدمين عاديتين.



المرأة	:	لا يصطاد إلا الظباء. إذا لمح إحداهن في البراري، فلن يفلتها، سيطاردها لساعات.
لوندين	:	بدا لي شخصا طبيعيا جدا. تماما كما وصفته الإدارة المركزية. رجل مملوء بالرأفة تجاه من هم في محنة...
المرأة	:	هل يمكنني رؤية قدميك؟
لوندين	:	ماذا؟
المرأة	:	هل يمكنني رؤية قدميك؟ ما تخبئه داخل جوارب زوجي.
لوندين	:	لا...
المرأة	:	أريد فقط أن أرى ما يشبه ساقيك.
لوندين	:	طبيعية جدا قدميّ.
المرأة	:	بم تفكر؟
لوندين	:	بماذا أفكر؟ الآن؟
المرأة	:	قبل أن تطلق النار؟
لوندين	:	لا أصيد. لا الحيوانات ولا البشر...
المرأة	:	حتى اللصوص؟
لوندين	:	لا، حتى اللصوص...
المرأة	:	الأشخاص السود المتسللون إلى بيتك، الذين يعتدون على زوجتك؟
لوندين	:	لست متزوجا.

المرأة : من قتلها؟

لوندين : لم يقتلها أحد.

المرأة : زوجي ربما من أطلق عليها الرصاص.

لوندين : لم تقتل! انفصلنا فقط!

المرأة : أرى أنك نادم على فراقها

لوندين : كان الطلاق ضروريا. لم ينجح الأمر.

المرأة : كنت تضربها.

لوندين : إطلاقا. لم أعنفها أبدا!

المرأة : هذا ... هذا لا أقبله أبدا...

المرأة : أنت تبكيها.. هي ممددة على الطريق... تبيض حشرة بيضها داخل عينيها...

لوندين : يحدث نفسه. اللعنة ماذا تقول؟

المرأة : لماذا أتيت إلى أفريقيا؟

لوندين : لأقدم مساهمتي.

المرأة : كي تصبح ثريا.

لوندين : لأقدم المساعدة.

المرأة : لكنك أصبحت ثريا.

لوندين : ليس باهظا للعيش هنا.

المرأة : السود يموتون جوعا.

لوندين : أعرف، لهذا أنا هنا.

المرأة : كنت في المرة الأولى متوترا.

لوندين : أي مرة أولى؟

المرأة : عندما صرفت دولاراتك في السوق السوداء.

لوندين : الناس جميعهم يقومون بذلك.

المرأة : حركت فقط جواز سفرك الديبلوماسي، لتمرير العاج من الجمارك...

لوندين : أقدم المال من أجل إنقاذ الحيوانات المهددة بالإنقراض.

المرأة : ماذا تفعل بالجلود؟

لوندين : أي جلود؟

المرأة : جلد الفهد.

لوندين : أتساءل عن أي جلد!

المرأة : الجلد المبقّع، الذي تخفيه تحت قميصك.

لوندين : الجلد الوحيد الذي أملكه تحت القميص هو بشرتي الخاصة!

المرأة : أرني إذن!

لوندين : هل يجب أن أنزع ملابسي؟

المرأة : عندما سينزل زوجي لتناول الطعام سيكون متخففا. لا يطيق الملابس. أهدى آخر سترة يملكها.

لوندين : أرغب أن أحدثه قليلا عن العمل قبل أن يفوت الأوان.

المرأة : خاب أمل زوجي عندما رآك.

لوندين : حسنا إذن؟

المرأة : لا يحب الأشخاص النحيلين...

لوندين : حقيقة، لم أحضر هنا كي أشتم. أطالب بأن أعامل معاملة لائقة. لا أعلم ما اقترفته كي أحتمل هذا كله! يمكن لأفريقيا أن تدمر الأشخاص، هذا أعرفه. والكثيرون يشربون بإسراف...

المرأة : زوجي من هؤلاء...

لوندين : إذن قاتل وعربيد؟ يا إلهي...

المرأة : هل تحب مشاهدة الصور؟

لوندين : ألتقط بنفسي عددا لا بأس به من الصور.

المرأة : إذن يجب أن تحدث زوجي قبل رحيلنا. يعرف أين توجد المناظر المهمة في هذا البلد.

لوندين : لدي هوس سخيف قليل... أجمع صور غروب الشمس.

المرأة : هذا جميل.

لوندين : ضوء غروب المناطق المدارية القصير استثنائي. كما لو أن النهار الإفريقي تعرض لضربة خاطفة وغير متوقعة. يشبه حادثة.

تذهب المرأة للبحث عن مجموعة من الصور فوق أحد الرفوف.

المرأة : بإمكانك مشاهدة هذه أثناء ذهابي لأحث إديث على الإسراع.



لوندين : رائحة الطعام لذيذة.

المرأة : لا يجب أن تخاف.

لوندين : لست خائفا...

المرأة : بالنسبة للجميع هي صور للظباء... زوجي يحب الظباء حبا خاصا.

لوندين : سأشاهدها...

المرأة : نريد فقط أن تحس بالارتياح في منزلك. ليس سهلا دائما القدوم إلى بلد جديد بأفريقيا... وزيادة على ذلك، التعرض للهجوم والسرقة منذ المساء الأول...

لوندين : السرقة؟ هنا لا أستطيع استيعاب ما تقصدينه.

تقترب المرأة من لوندين.

المرأة : إذا كنت مكانك، سأشاهد هذه الصور بعينين مغمضتين...

قبل أن يجد لوندين فرصة للرد تتأرجح الأضواء بضع ثوان ثم تغدو الغرفة مظلمة كليا. وحده شعاع للشمس الغربية يلمع فوق المرآة. ويصبح نقيق الضفادع أشد قوة، قبل أن يضعف من جديد.

لوندين : ماذا يحدث؟

المرأة : عطل كهربائي فقط. سيعود بعد قليل.

لوندين : إنه يصرخ.

المرأة : يخاف من الظلمة. سأشعل شمعة. لا أحب الظلام...

تصرخ.

- إديث، أحضري الشموع بسرعة!

الرجل يئن في الطابق العلوي.

يبدأ لوندين فجأة بالضحك في الظلمة.

تصرخ.

- يـا إديث! هذا غيـر ممكن لا تفعل أبـدا ما يطلب منها... لا بد أن تكون شمعة في مكان ما.

تصطدم المرأة بلوندين فتصرخ. مزهرية تصدم فتتكسر.

- هل أنت هنا؟ مارتان؟ مارتان...

- ندرك فجأة أن المرأة متوترة وأنها خائفة.

- هل أنت هنا؟ أسمعك...اللعنة إذن...

تصرخ أكثر

- يا إديث!!! سأقتلك إذا لم تحضري...

يعود النور بغتة.

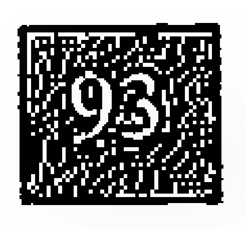
تحمل المرأة وسط الغرفة مسدسا في يدها.

اختفى لوندين.

في أحد أركان الغرفة، يجلس الرجل منكمشا، يرتدي نصف ملابسه. يضع فوق رأسه قبعة صيفية متسخة ونظارات سوداء. يتناول قنينة المشروب.

الرجل لا ينبس بكلمة! ليس بعد...

يشرب بطبيعة الحال متأرجحا، فيما بعد بين الوضوح والغموض الأثيليّ.



المرأة : لا أحبه، إنه مزيف.

ينهض الرجل فجأة.

الرجل : سأقدم الآن آخر مساهمتي الجيدة لتنمية هذه القارة! من أجل خليفتي!

يصرخ.

: مارتان! أين أنت؟ هل يستحم مرة أخرى؟

يقصد حائطا ويبدأ بالإصغاء.

: هذا ليس منزلا وهذه ليست حياة. إنه حصن، حصن لا منته. قبل أن أرحل من هنا يجب أن يكون مثاليا! هو من في الأعلى، يجب أن يعيش في أمن تام. استقدمي إديث!

المرأة : لقد اختفت. لا ترد. أريدك أن تطردها حالا!

يفتح الرجل باب المنزل وينادي.

الرجل : إيزنهاور تعالى هنا...

يتمتم الرجل بكلام غير مفهوم، يخاطب شخصا في الخارج. وبين الفينة والأخرى يتحول الصوت إلى زمجرة.

تعد المرأة لنفسها شرابا تدلقه مكرهة. تفتح باب المطبخ وتغلقه فورا. احتفظت بالمسدس في يدها خلال هذا الوقت كله.

: تصوري! يقول أيزنهاور الأحمق أن الأسمنت نفد! كانا كيسين متبقيين. والآن ها هما يختفيان. اختفيا يا بوانا «يقصد سيدي (المترجم)» اختفيا. لا أدري كيف تم ذلك يا بوانا. هذا غريب يا بوانا... أعطني



المسدس سأقتل هذا المغفل... كان بإمكاني تحصين هذه النوافذ. أنا بناء. والبناء أجيده!

المرأة : هل تعتقد أني أنوي مسامحتك؟

الرجل : لا لكني أتمنى أن تفعلي ذلك.

المرأة : كن ينكشــفن ثم تصورهن. هل تدفع لهن المال. ماذا تفعل أيضا؟

الرجل : لا شيء.

المرأة : لماذا؟

الرجل : في كل الأحوال، لن تفهمي أبدا.

المرأة : لا لن أفهم أبدا.

الرجل : لهذا لا فائدة من الحديث عن هذه الأمور.

المرأة : وهل تفهمه أنت نفسك؟

الرجل : نعم، لا.

المرأة : عرضت الصور على لوندين ليشاهدها.

الرجل : لماذا فعلت هذا؟

المرأة : أنوي أن أعرضها على العالم بأسره! لماذا لا ترسلها مـــع تقريرك النهائي؟ «هل نســـاعدهم على الحياة، أم نســـاعدهم علـــى الموت؟ لقد فعلـــت ما كان في مقدوري، الصور مرفقة مع التجهيزات!»

الرجل : أنت لست سوية! أنت مجنونة كليا...

المرأة : المجنـــون أنت. ليس أيزنهاور مـــن تفوح رائحته، بل

أنت المتعفن...

الرجل : توقفي الآن...

المرأة : ماذا ستفعل إذا لم أتوقف؟ لن تستطيع قتلي ولن تستطيع تحميل خطأك لرجل أسود. ماذا ستفعل؟

الرجل : سامحيني...

المرأة : أسامحك!

الرجل : أنا نادم...

المرأة : أنت لا تندم عن أي شيء.

الرجل : وما أدراك أنت!

المرأة : أعلم ذلك؟ أنا أعرفك. كنت زوجتك لآلاف السنين. ما إن تقترف ذنبا حتى تسارع إلى طلب الغفران. لكنك لا تفكر به أبدا!

الرجل : ماذا تريدينني أن أفعل؟ أن أجثو على ركبتي؟

المرأة : لو كان في مقدوري أن أفهم شيئا... فأنت لست شخصا مثيرا للاشمئزاز فقط لكنك فريسة في قبضة الشيطان.

الرجل : اللعنة. لست فريسة في قبضة الشيطان!

المرأة : بلى، هذا ما أنت عليه! تذكر صدر إديث المكشوف...

الرجل : ما به؟

المرأة : أليس جميلا؟

الرجل : يجب أن تزرر قميصها.

المرأة : لكن يجب على أولئك الفتيات أن ينكشفن!

الرجل : هل تظنين أني التقطت صور بنات إديث؟ هل أنت شريرة؟

المرأة : عندما سنعود إلى ديارنا، سأطلب الطلاق. ليس في وسعي مواصلة العيش معك يوما إضافيا... ستكون هذه ذكرياتي في أفريقيا...الكريم العظيم يصور الفتيات مقابل كرونة واحدة (تقصد العملة السويدية/المترجم) ...

الرجل : نعم، أعترف أن المسألة غير لائقة، لكن الأمر ليس أكثر قرفا مما تفعلينه! إنها صور ولا شيء آخر...

المرأة : سأطلب من إديث أن تحضر إلى هنا.

الرجل : لماذا؟

المرأة : سأطلب من إديث أن تحضر، لتطلب منها الصفح.

الرجل : لماذا؟

المرأة : عما فعلته!

الرجل : لم أفعل إزاها أبدا أي شيء. يا إلهي، لن أطلب منها الصفح!

المرأة : عليك أن تختار.

الرجل : أختار ماذا؟

المرأة : عليك أن تختار، ما تريد أن تصير عليه...

الرجل : أتقن البناء. بناء الآبار وتنظيم العمل.

في الوقت نفسه، يهبط لوندين الدرج بخفة. يبدو مبللا وهو يلف جسمه بمنشفة الحمام.

لوندين : أرجو المعذرة! لكن هناك مخلوقات تخرج من حوض الحمام.

المرأة : أي نوع من المخلوقات؟

الرجل : هل هي ديدان؟

المرأة : تتواجد في بعض الأحيان. ما هو اسمها؟

الرجل : إنها نوع من غشائيات الأجنحة، لا أعرف ما اسم هذه، لكنها مسالمة. تخرج من قنوات الصرف، عندما تكون مسدودة في مكان ما. غير أنها مسالمة كليا!

لوندين : إذا كانت تعيش في قنوات الصرف، فإنها ستكون مليئة بالميكروبات!

المرأة : هذا مؤكد، لكن هذا لا يحدث دائما.

لوندين : اللعنة إذن!

المرأة : تمكنت حقيقة من التعود عليها.

لوندين : غير مقبول أن نضطر للعيش برفقة حشرات طاعونية داخل الحمام!

المرأة : الشيء الوحيد غير المقبول هو العيش هنا كما نفعل نحن...

يجثم الصمت من جديد. فرس النهر يتنهد، ونقيق الضفادع يزداد قوة، ثم ينخفض من جديد.

: سيجهز الطعام حالا.

لوندين : سأذهب لارتداء ملابسي. سأعود سريعا...

المرأة : لا، لا داعي، زوجي يجلس إلى المائدة مكشوفا غالبا.

الرجل : قبل أن تتناول الطعام. سأطلب منك خدمة.

لوندين : نعم، بالتأكيد.

الرجل : هل ترى قدمي هذه؟

لوندين : نعم؟

الرجل : إنها مليئة بالديدان. هل يمكنك استخراجها؟ حاولت إليزابيث وأنا أيضا. تحتاج فقط أن تلفها حول قضيب الحياكة...

لوندين : ديدان؟

الرجل : إنها نوع من الطفيليات. ليست شيئا غير عادي. بيض تحت الجلد، يرقات، وديدان. ولولا أنها هرشتني بقوة كبيرة لما انتبهت حتى إلى وجودها.

لوندين : لا أعتقد أني سأتمكن من ذلك.

الرجل : هذا مؤسف. تحتاج فقط إلى من يقبض عليها ويلفها مثل كرة...

من دون أن ينبس لوندين بكلمة واحدة، يختفي أعلى الدرج. ربما يريد استفراغ ما في بطنه.

انفجرت المرأة من الضحك.



	:	ما المضحك في هذا؟
المرأة	:	لا شيء مضحك. إن أردت الدقة، فالعكس ما يحصل. فجأة...
الرجل	:	فجأة؟
المرأة	:	ألا ترى من أمامك؟
الرجل	:	ماذا؟ ماذا ترين أمامك؟
المرأة	:	أنت!
الرجل	:	أنا؟
المرأة	:	وفقراء هذا البلد جميعهم، الذين يجب أن تساعدهم، ماذا يرون؟
الرجل	:	يحلمون بالمستحيل، يحلمون أن يعيشوا مثلنا!
المرأة	:	أنت مخطئ.
الرجل	:	أنا، على الإطلاق! هذا ما يحلمون به!
المرأة	:	حلم إديث مختلف كليا...
الرجل	:	لا تعرفين شيئا عما يدور في خلدها! كيف يمكنك أن تعرفي؟ كيف يمكنك أن تدعي معرفة ما تحلم به؟ ربما لا تحلم إطلاقا؟
المرأة	:	أعرف ما تحلم به إديث.
الرجل	:	لا تعرفين بما تحلم إديث. أؤكد لك ذلك!
المرأة	:	هذا لا أعرفه!
الرجل	:	ماذا؟



المرأة : أنت أيضا تخشى أحلامها!

الرجل : أنـت مـن يخاف منهـا! وليـس أنا! ترعبـك رعبا شديدا!

المرأة : نحن صديقتان.

الرجل : صديقتـان؟ عندما تتركين البيت، تحضر مكشـوفة الصدر. كنت تعاملينها معاملة سيئة.

المرأة : أنت من يعاملها معاملة سيئة. ولست أنا...

الرجل : أنـت تجبرينها علـى الجلوس علـى ركبتيها لتلميع أحذيتـك. وكم من مرة صفعتيهـا؟ يجب أن تفهمي أنها تكرهك. أتفهم أن تكوني مرعوبة منها!

المرأة : لا شيء صحيح مما تقوله!

الرجل : كل شيء صحيح! اطلبي منها أن تحضر! سنسألها!

المرأة : أنت مقرف.

الرجل : أنا، في كل الأحوال، لا أكره الزنوج...

المرأة : كنت أفكر أحيانا... لو أنك فعلت شيئا هنا خلال هذه السنين جميعها. ربما كنت سأتحمل ذلك، لكن الآن، ونحن بصدد الاستعداد للرحيل، أدركت أني تزوجت رجلا لم يفعل شيئا. رجل التقط صور الفتيات مقابل كرونة.

الرجل : لكنني نادم، قلت لك هـذا. لا أدري ما الذي دفعني إلى فعل ذلك...أفريقيا معقدة للغاية...

المرأة : لماذا تبكي؟



الرجل : لماذا في رأيك؟

المرأة : تستجدي التعاطف. تريد أن نقبل شكواك وأن نخفف عنك حزنك، وأن نحس بشفقة عارمة صوبك...

الرجل : أنت تكرهينني؟

المرأة : نعم أكرهك.

الرجل : احضنيني...

تتوجه المرأة صوبه ببطء، ثم تضمه إلى حضنها.

: لم أفعل أي شي مجد؟

المرأة : لا شيء إطلاقا. أعطيت ستراتك.

الرجل : لكن لم يذهب كل هذا هباء؟ ليس كل شيء؟

المرأة : لا! باستثناء السترات! والخفان الزهريان! والقمصان الحريرية. والآبار الثلاث المشتغلة. ثلاث قرى تنعم بالماء المنعش ولا يموت أطفالها بسبب الطفيليات.

الرجل : ولدي ديدان في قدمي...

المرأة : وتهرش؟

الرجل : بهدوء تام. كأن الديدان تتجه، لتخرج في أي لحظة من عينيّ.

يدني الرجل وجهه.

: هل ترين شيئا؟

المرأة : لا شيء...

يخيم الصمت فجأة.



تدخن المرأة ملقية نظرة صوب أعلى الدرج.

الرجل : عندما تخرج الديدان من عينيّ، سأضعها في مظروف وأرسلها مع تقريري النهائي. ستكون كلمتي الأخيرة. أما ما تبقى من حياتي، فسأفعل بها ما أشاء.

فجأة يأخذ الأمور على محمل الجد.

: فلنقم الآن بشي جديد. إذن نرسل الصناع الحرفيين إلى العالم. ربما سيفعلون شيئا ذي معنى في أفريقيا. أملك راتبا لا أكاد أحلم به. وأملك جناحين، ومن حقي الطيران.

يخبط الرجل بجناحيه ويركض لحظات وجيزة، كالمجنون ثم ينهار فوق الكنبة.

: لا أجيد الطيران.

المرأة : بعد هنيهة. يا بوانا...

الرجل : لا أسمع.

المرأة : تهمس. يا بوانا، امنحني شيئا، يا بوانا... أعطني شيئا، يا بوانا، بوانا...

الرجل : خذي هذه ربطة عنقي، ضعيها شريطا على شعرك.

المرأة : بوانا امنحني أكثر..يا بوانا.

الرجل : لا يمكن أن نأخذ فقط، يجب أن نعطي أيضا.

المرأة : ليس لدي ما أعطيه يا بوانا...

الرجل : لا، لا شيء. ربما اسم ، قد لا يكلفك شيئا.

المرأة : قل اسما تحبه يا بوانا؟

الرجل : إليزابيث.

المرأة : هذا اسمي يا بوانا...

الرجل : دعيني أرى من تشبهين...أنت التي لا تملكين أي شيء...اجعليني أرى ما تحت أرديتك، أريد أن أشاهد إلى ماذا يشبه هذا «اللاشيء».

المرأة : ماذا ستمنحني مقابل ذلك يا بوانا؟

الرجل : شيئا ما..سأجد شيئا في جيبي..بماذا تفكرين؟

المرأة : أنت تعرف.

الرجل : لا أعرف شيئا مطلقا...

المرأة : رأيت في الحلم أني أتناول مسدسا وأتهيأ لإطلاق النار رأسا صوب الصدغ، لكن الدماء لم تخرج.

الرجل : يخرج فجأة عن طوره. اللعنة، لماذا تحلمين بهذه الأحلام الغريبة؟ التي لا أفهمها. أنا مرهق جدا... أرهقني غموضها بشكل جهنمي...

المرأة : بغضب خالص تماما، لكن بسيطرة جيدة. يمكنك أن تواسي نفسك بأن تقول أن الأذى الذي سببته لي، لم تسببه للأفارقة...هل تسمع أقواله؟ .

الرجل : لا أريد أن أسمع. أنا مرهق للغاية. كما أنها تهرش...

المرأة : أرغب أحيانا أن تلتهمك هذه الديدان، لكن هذا لا يكفي... كيف استطعت أن تقف أمام أطفال صغار

بآلة التصوير... كيف تمكنت أن تصبح هكذا؟

الرجل : إنها أفريقيا...

المرأة : لا تتستر عن عيوبك!

الرجل : لا تصرخي!

المرأة : يمكنني أن أهمس إذا أردت ذلك، أم تريد أن أغني لك، لكن ليس لإنامتك، بل لأجعلك مستيقظا حياتك كلها.

الرجل : أنت لست سوية، لعمري أنت مجنونة كليا.

المرأة : أنت المجنون...أتدري؟ أعتقد إن كان بإمكانك أن تفعل أشياء عديدة، لولا تقاعسك. إن خوفك ليس شيئا آخر غير الكسل. كيف سيكون في مقدورك مساعدة شخص تخافه؟ كيف يمكنك أن تساعد شخصا أنت تكرهه؟ كيف يمكن أن تساعد شخصا يملك كرامة أكثر مما تملكها أنت؟ كنت أعتقد أنك تملكها. اعتقدت ذلك هذه السنين كلها، لكنك لا تملك أي كرامة. كنت مسحورا بأولئك اللواتي يستسلمن لك، وأنت تستغل أطفالا صغارا... لم يعد بإمكاني العيش رفقتك؟ عندما نصل إلى الديار، سيذهب كل واحد إلى حال سبيله. أتمنى حقيقة أن أعود ذات يوم إلى أفريقيا، ليس كزوجة سيد العالم...

يظهر لوندين فوق الدرج، أثناء كلمات المرأة الأخيرة. يتوقف ويمكث منتصبا. لا يلمحه الرجل ولا المرأة أو أنهما يدعيان عدم رؤيته.

الرجل : الكرامة..ما هذا الهراء؟ هل أملك كرامة؟ لم أعد أطيق سماع كلماتك.

يذهب الرجل لوضع أسطوانة جيسي بيورلينغ. يرفع الصوت عاليا. تبدو المرأة وكأنها استسلمت، لكنها تهرع فجأة صوب الإسطوانة، فتنتزعها. يضربها الرجل، فتضربه. تخدشه وجهه بعمق وكأنها ككشماء (أنثى الفهد) تمزق فريستها.

تنزف عين الرجل...

الرجل : ما الذي فعلتيه؟ لم أعد أبصر...

المرأة : إنها فقط الديدان التي تخرج.

الرجل : هذه دماء...

المرأة : إنها الديدان التي تفرّ.

الرجل : يجب أن تساعديني لم أعد أرى أي شيء. اللعنة، ساعديني...

ينزل لونديـن من على الـدرج مترددا، يرتدي سروالا قصيرا كاكي موضته متجاوزة وسترة موحدة فريدة، وحذاء كبيرا، وجوربين يصلان إلى الركبتين.

لونديـن : هل حدث مكروه؟

الرجل : لا، لا شيء...فقط تعثرت.

المرأة : حاولت أن أخدش عينيه، لكني لم أفلح في ذلك...

لونديـن : الوضع سيئ للغاية...إنها العين؟

المرأة : لا تلمسه! سأخدشك أنت أيضا...

الرجل : أحضر لي سكينا!

المرأة : يريد استخراج الديدان من قدميه...



الرجل : بل سأقطع لسانك كي تصمتي! اسمع يا مارتان... اللعنة ساعدني! أحضر منديلا... لم أعد أبصر شيئا.. بعد ذلك سأخرس هذه المخبولة العجوز...

يحاول لوندين أن ينطلق للبحث عن منديل، لكن المرأة ترفع يديها أمام وجهه كما لو أنها ستخدشه.

لوندين : لا أدري حقيقة كيف أتعامل معكما؟

الرجل : يصرخ. إديث أحضري هنا حالا ومعك منديل... إديث...

المرأة : ستعيش أكثر، اذهب...

الرجل : أعطني منديلا حالا... لا يمكن أن نواصل هكذا...

تنزع المرأة قميصها وتمده للرجل.

المرأة : خذ...!

الرجل : شكرا.. ينز الدم هكذا، نظرا إلى الحرارة.

يلف رأسه بالقميص.

: الآن نحتاج شرابا... أظن أني تعثرت بالبساط. ماذا تريد؟

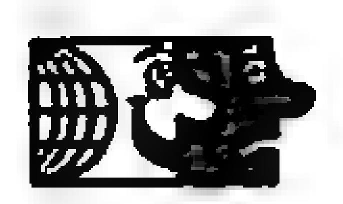
لوندين : أعتقد، لا شيء...

الرجل : واضح أنك في حاجة إلى شراب.

مخاطبا المرأة : وأنت؟

المرأة : الشراب نفسه...

الرجل يرتعش عندما يصب الشراب على حواف الكؤوس، لتمتلئ.



الرجل : خذ... نخبك...

لوندين : نخبك...

المرأة : يجب أن تعلم أننا لم نعد ننتمي إلى هذا البيت... كان فيما مضى منزلنا بأفريقيا. وسيكون من الصعب الافتراق عنه...

لوندين : أدرك الحظ الذي أتمتع به. لكن يجب أن أخفي هذه المخلوقات المتواجدة في قنوات الصرف...

المرأة : هذا مستحيل.

لوندين : ولم لا؟ رغم ذلك يجب أن أحاول...

المرأة : حاولنا منذ عشر سنوات.

لوندين : ليس من حقنا الاستسلام..في أفريقيا يجب العمل على المدى البعيد...أليس كذلك؟ تماما مثل مشروعنا لحفر الآبار...

المرأة : فشل القرن...

لوندين : عفوا؟

الرجل : لا تقصد ما قالته. لزوجتي دعابات غريبة جدا. لكن الأمور تسير ببطء، بل ببطء شديد يفقد الصواب أحيانا. تخيل أنهم يسرقون أنابيب الخرسانة. كيف تمكنوا من حملها؟ الواحدة منها تزن طنا؟

لوندين : أنت تعرف كيف هم، يسرقون كالغربان، يصعدون ويهربون متسللين...

ينظر الرجل والمرأة إلى لوندين بانتباه.



الرجل : على الأرجح أنك لا تعني ما قلته....

لوندين : ربما كان كلامي عنيفا شيئا ما؟ هل قلت شيئا فظيعا؟

المرأة : لا يسرق الأفارقة أكثر منا! كيف تمكنت من التفوه بما قلته؟

الرجل : يبدو أن ما قلته فظيعا!

المرأة : وتدعي أن الحارس الليلي تفوح منه رائحة سيئة...

لوندين : أنتما تؤولان كلامي بطريقة سيئة. ولا تتوقفان عن التأويل الخاطئ! وبالضبط، كأنكما تفعلان ذلك عمدا...

المرأة : ولماذا سنفعل هذا؟

لوندين : لا أدري، لكني لا يمكنني أن أتجاهل ما رأيته وسمعته... لديكما مشاكل.. وأنا لا أريد أن أتدخل في هذا. غير أن طريقة استقبالكما للأشخاص سخيفة. ها أنا قلت رأيي. أحدكما يصرخ أن الآخر مجرم. وتوضع بين يدي صور مقززة...لا أستوعب الأمر، بل لم أفهم أي شيء مطلقا ...

المرأة : زوجي أيضا لا يفهمني.

لوندين : قدمت إلى هنا لأني أؤمن بما أفعل.

المرأة : مثل مبشر.

لوندين : لا! ليس كمبشر، لكن كخبير في مجال ضخ وتطهير الماء. قررت أن أحارب من أجل تحسين مصير هؤلاء الفقراء.

المرأة : لكن تفوح منهم رائحة سيئة؟

لوندين : ربما لأن الماء غير متوافر لديهم!

المرأة : ويسرقون؟

لوندين : لأنهم لا يملكون شيئا!

المرأة : وكسالى أيضا؟

لوندين : لأنهم يعانون من سوء التغذية!

المرأة : ولديك مسدس تحت الوسادة؟

لوندين : ليس لديهم ما يخافون عليه، أما أنا فنعم!

الرجل : حقيقة فعلت ما أستطيعه كله...

لوندين : لا أشك في ذلك.

الرجل : شكرا.. شكرا جزيلا.

المرأة : هل تريد أن أطلب من إديث أن تحضر الطعام؟

لوندين : حقيقة، لست جائعا. ولا أحب أن يحتجز الخدم الليل برمته.

المرأة : وماذا ستقول إذا قلت لك أنها تقطن في إحدى حاويات نفاياتنا؟ ماذا ستقول عن هذه الأمر؟

لوندين : كم هذا مهين ورهيب!

المرأة : لا أستطيع تصديقك؟

لوندين : ليست مشكلتي.

المرأة : يمكن حقيقة أن تظهر بعض الأكاذيب واضحة

للعيان...

لوندين : لا أكذب، أقول ما أؤمن به!

المرأة : يا ليت الأمور تكون هكذا...

لوندين : كلماتي كلها حقيقية!

المرأة : كل كلمة...

لوندين : ربما كانت مغامرة. عندما كنت صبيا..كانت الطبول تدق في الغابة البعيدة بشكل لا يصدق..وكان السهم يطير في الليل..والرماح تطلق في اتجاه يد لامرئية...ثم شاهدت المعاناة..وهي الشيء الوحيد الذي مازلت أراه...لهذا السبب أنا أتواجد هنا...

الرجل : أنا أعطيت ستراتي...

لوندين : هذا قبيح حقا!

المرأة : عجبا!

لوندين : بالتأكيد هذا شيء قبيح!

المرأة : ما هو هذا الشيء القبيح؟

لوندين : أن تعيشا كما تفعلان. بهذه الكراهية التي من دون أساس، تعاملون الناس الضعفاء...

المرأة : واصل! قل ما لديك!

لوندين : إنهم بشر مثلكما.

تقاطعه المرأة : لم يعد يربطني به أي شيء! لا شيء، إطلاقا وأبدا...

الرجل : لا تهتم بها! إنها مخبولة...

لوندين : إنهم بشر مثلكما من يدمر كل ما نخترعه. أنتما لا تعلمان ما معنى أفريقيا، ولا تعلمان ماذا يعني أن يكون المرء أفريقيا...

الرجل : لنتحدث عن ذلك!

لوندين : هذا ما سأفعله لولا أنكما تقاطعاني طوال الوقت.

الرجل : لن أتفوه بكلمة واحدة. سأبقى صامتا.

المرأة : أنت لا تعلم عنهما شيئا...

لوندين : هل في إمكاني المواصلة؟

الرجل : لا تهتم لأمرها. ما الشيء الذي لا نعرفه؟

لوندين : أنتما لا تعرفان حتى نفسيكما...

المرأة : مخاطبة الرجل. امكث صامتا. أنت لا تعرف عنه شيئا، فاسمع.

الرجل : لم أسمع شيئا آخر، منذ زواجنا، سوى سماع حماقاتك...

مخاطبة لوندين.

: ماذا كنت تقول؟

لوندين : لم أكن أقول شيئا.

الرجل : لا تتهرب مرة أخرى! ماذا كنت تقول؟ قلت أفريقيا...

لوندين : لا يجب أبدا أن نرسل أشخاصا مثلك، لتقديم المساعدة.



الرجل : بالتأكيد هذا صحيح! أتفق معك. أشـــخاص مثلنا لا يجب أبدا...

لا يستطيع فجأة مواصلة الحديث

: أبدا...أبدا...

المرأة : سأذهب للنوم.

لوندين : أعتقد أن الوقت مناســب لتقدمــوا لي الخدم؟ ربما بالغت في طلبي؟

المرأة : لا...سأناديهم.

لوندين : انتظري قليلا، لست مستعجلا.

تجلس المرأة فوق الدرج. يمكث الرجل لامباليا وسط الغرفة.

يصب لوندين كأسا لنفسه.

ما يحتاجه الفقراء، هو من قوتنا ومن عزيمتنا... هذا قبل أي شـــيء. ثم المال، والحب. لكن قبل كل شيء عزيمتنا. لا بد مع ذلك، وسط هذه اللعنة المقرفـــة، من إيجاد وســيلة، لإعادة النظام لكل هذه الأشـــياء..هذا ما لا يفهمه أشخاص مثلكما...

الرجل : النوافذ...

لوندين : ماذا بها النوافذ؟

الرجل : كنت أنوي تحصين النوافذ...

لوندين : لماذا ستحصن النوافذ؟

الرجل : لا أحب أن أرحل قبل إتمام عملي. كنت أملك كيسين من الأسمنت، لكن أيزنهاور التهمهما.

لوندين : لا أحد يأكل الأسمنت! كيف تستطيع أن تعامل الناس

بهذه الطريقة؟

الرجل : لو أنـي وجدت الوقـت الكافي لتحصيـن النوافذ، لانتهى كل شيء.

لوندين : ما الذي سينتهي؟

الرجل : لن يتمكن أحد من التسلل. ولعشنا هنا في أمن تام.

لوندين : أعتقد أني بدأت أفهم كيف عشـتما هنا.. بالنسبة لكما الأفارقة أعداء. لكن لماذا؟

المرأة : لأنهم يعرفون أن هذا حقيقي.

لوندين : ما هو الحقيقي؟

المرأة : لا نساعدهم، لكننا نساعد أنفسنا.

لوندين : نعيش فـي العالم نفسـه. ومهمتنـا أن نجعله أكثر ملاءمة للعيش بالنسبة للجميع.

الرجل : هذا بالضبط ما يكتبونه في التقارير. بالضبط هذا! كل كلمة قلتها! الكذب الجوهري نفسه.

لوندين : هذا صحيح. هل هناك شيء أكثر شرفا من مساعدة الفقـراء واضطهادهم؟ هـذا ما يدمره أشـخاص مثلك.

تقف المرأة فجأة، وتنزل الدرج

المرأة : بأي حق تبصق على وجه زوجي!

لوندين : لم أفعل هذا! ما هذا الهراء؟

المرأة : بصقت عليه؟

لوندين : ليس من عادتي البصق على وجوه الناس...

المرأة : بصقت عليه.

لوندين : لم أفعل مطلقا!

المرأة : بصقت على زوجي؟

يبصق لوندين فجأة على وجه المرأة.

لوندين : لم أفعل إطلاقا!

تبصق المرأة على وجه لوندين.

المرأة : الآن يجب أن ترحل من هنا. يمكنك النوم لدى الحارس الليلي. إذا لم تكن رائحته سيئة... الآن ارحل من هنا...

لوندين : هذا كله...هذا كله بلا معنى...

المرأة : ارحل...

لوندين : هذا منزلي. ولا أنوي الرحيل منه!

الرجل : أنت بالتأكيد من سيصلح الأمور. الأشياء جميعها التي لم أكن أتمكن من القيام بها.

لوندين : عادة أتفاهم جيدا مع السكان الأصليين.

الرجل : ستقوم، هنا، بأعمال عظيمة. عندما ستعود إلى موطنك، ستكون هناك بالتأكيد عشرة آبار تعمل...

لوندين : ستعمل كلها...

الرجل : بطبيعة الحال، نعم... كل شيء سيعمل جيدا...

المرأة : سأذهب للنوم الآن.

لوندين : أرجوك اعذريني، قبل قليل،

: خرجت عن طوري.

المرأة : حاول زوجي، رغم كل شيء.

لوندين : لا أشك في ذلك البتة.

المرأة : لكنه فهم المستحيل. تنبأ بالزيف...

لوندين : الزيف؟

المرأة : فهمت الآن. لهذا يشعر بأنه هكذا...

لوندين : ماذا فهم؟

المرأة : هل نحن هنا، لمساعدتهم على العيش، أم لمساعدتهم على الموت؟ لقد طرح السؤال، والآن هو يعرف الجواب...

لوندين : بالتأكيد نساعدهم على العيش...

أصبحت الطبيعة الأفريقية أكثر دنوا. الرجل والمرأة ينظران إلى لوندين بانتباه.

: يجب أن يسير تفوقنا في تساوق مع الفهم، والصبر. وإذا كان ضروريا يجب أن نعلم السود إعادة اختراع العجلة. نحن هنا مشبعون بالنوايا الحسنة والإخلاص.

فجأة، ولأسباب تبدو غير مفهومة، يبدأ لوندين بالبصق، وتمزيق ملابسه. يصرخ رعبا وألما. يأتي بعده دور المرأة، التي تمزق ثيابها أيضا وتخدش وجهها.

يقاوم الرجل طويلا، ثم يشرع في تمزيق ملابسه.

: هناك نمل هنا؟

المرأة : النمل المحارب.

لوندين : اللعنة.. يوجد في كل مكان...

المرأة والرجل يساعدان بعضهما بتضامن للتخلص من النمل الشرس.

لوندين في غاية اليأس وهو يخدش نفسه محدثا جروحا عميقة وعندما اختفى جيش النمل الرحالة بسرعة كما جاء في الأول، ظهر لوندين عاريا تقريبا.

الرجل : يأتي من كل مكان، ولا شيء يمكن أن يوقفه.

لوندين : إن الحارس الليلي يتحمل مسؤولية الاهتداء إليه. فلتحضرا جميع العاملين. لا يجب أن يتكرر هذا مرة أخرى.

المرأة : حاضر يا بوانا... (Bwana)

تفتح المرأة باب الدخول على مصراعيه، ثم تصعد الدرج رفقة زوجها. يمكث لوندين وحده. يتحدث إلى العاملين اللامرئيين.

لوندين : بالتأكيد، سنتفاهم فيما بيننا جيدا. على شرط أن تخضعوا للأوامر وتحترموا القوانين... هل فهمتم جيدا؟ ويجب أيضا أن تردوا بنعم يا بوانا. وليس لا بوانا. هل فهمتم جيدا؟ الحرّاس الليليون الذين ينامون أحرق باطن أقدامهم. إذا لمحت، في المرة القادمة، أحكم نائما، فإني سأطرده في الحال... وأنت...أنت من تسمين إديث. أنت من لها الحق في التواجد داخل المنزل، يجب أن تزري قميصك... تذكري هذا ...لا أحد يخرج للتنزه في الخارج...إذا نفذتم ما أطلبه منكم، فإننا سنتفاهم جيدا.

ينظر لوندين بإمعان إلى الأفارقة اللامرئيين.

: الآن يمكنكم أن تتصرفوا.

يغلق لوندين الباب بعناية. لكن أفعى من نوع الكوبرا تتسلل بسرعة بين قدميه من دون أن ينتبه إليها. يجلس مكان الرجل مصغيا بانتباه إلى الضوضاء جميعها. فجأة تدق الطبول حوله، بصوت عال، لكنه لا يسمعها.

إظلام

السيرة الذاتية

سعيد بوكرامي

- » من مواليد ١٩٦٥.
- » يعمل بوزارة التربية الوطنية ويقيم بالدار البيضاء.
- » حاصل على إجازة في الأدب العربي.
- » دبلوم الدراسات العليا المعمقة.
- » عضو اتحاد كتاب المغرب.
- » عضو مؤسس مجموعة البحث في القصة القصيرة جامعة الحسن الثاني البيضاء.
- » مؤسس ورئيس الصالون الأدبي بالدارالبيضاء.
- » مدير مجلة أجراس الثقافية للإبداع وحرية الكتابة.
- » محرر ثقافي لجريدة عكاظ.
- » مراسل ثقافي لجريدة الشرق القطرية.
- » حاصل على:
- » جائزة القصة القصيرة الجامعية ١٩٩٠
- » جائزة ناجي نعمان الأدبية ٢٠٠٨
- » جائزة المضيق الإسبانية للقصة القصيرة ٢٠٠٨
- » جائزة محطة ال ب ب س ٢٠٠٨ للقصة.
- » جائزة فهد الأحمد فرع القصة المركز الأول ٢٠١١
- » تنويه وإشادة من جائزة النقد التشكيلي الشارقة ٢٠١٣
- » عضو محكم في جائزة إبراهيم بوعلو للقصة القصيرة جدا.
- » عضو محكم في جائزة أحمد بوكماخ للناشئة
- » للقصة القصيرة.
- » له إبداعات قصصية ومقالات ثقافية.
- » نشرت في الجرائد: الاتحاد الاشتراكي. القدس العربي. العلم .



يومية الناس. أخبار الأدب المصرية. البيان الاماراتية.

- وفي المجلات: ألف . الناقد. علامات. الحياة الثقافية. أبواب. آفاق اتحاد كتاب المغرب. نوافذ. نزوى. الأطام. الراوي.كتابات معاصرة. الرافد. الموقف الأدبي. المجلة العربية.الدوحة الثقافية. الجوبة. جريدة الفنون. الإمارات الثقافية...
- أصدر لحد الآن:
- (تقشير البطل) م قصصية ١٩٩٦ عن دار الرابطة الدارالبيضاء.
- (الهنيهة الفقيرة) م قصصية ٢٠٠٢ عن منشورات مجموعة البحث في القصة القصيرة بالمغرب.
- (تلقي القصة القصيرة) دراسات نقدية مؤلف مشترك عن منشورات البحث في القصة القصيرة ٢٠٠٢
- (ضوء على الأرخبيل) دراسات نقدية مؤلف مشترك عن منشورات البحث في القصة القصيرة ٢٠٠٤
- (ندف النار) مؤلف مشترك قصص بالعربية والإسبانية ٢٠٠٣
- (مختارات من القصة المغربية الحديثة) مؤلف مشترك منشورات آفاق الكتابة القاهرة. ط١ وط٢
- (أنطولوجيا القصة المغربية) منشورات وزارة الثقافة المغربية الرباط ٢٠٠٥
- في ضيافة هنري ميللر: سيرة حوارية لهنري ميللر. تأليف بسكال فريبوس ترجمة سعيد بوكرامي ٢٠٠٦ دار أزمنة الأردن.
- هواء خرائبي: مجموعة قصصية دار أزمنة الأردن ٢٠٠٧.
- عوالم روائية ترجمة ٢٠٠٨ عن دا أزمنة الأردن
- ثقل العالم رواية عن منشورات أجراس الدارالبيضاء ٢٠٠٨
- تاريخ الهايكو ترجمة عن المجلة العربية ٢٠١١
- أنا يسوع ترجمة رواية جيلبرت سينويه دار الجمل ٢٠١٢
- صدر له مؤخرا عن دار النايا ومحاكاة بسوريا ٢٠١٢ :
- تاريخ الهايكو أنطولوجيا شاملة ترجمة ٢٠١٣



- مدخل إلى فن الاقتناء العربي منشورات مديرية الفنون بالشارقة ٢٠١٣
- الحلقة المفقودة: ثلاث روايات قصيرة دارالنايا سوريا ٢٠١٣
- فندق العالمين مسرحية ترجمة سلسلة المسرح العالمي ٢٠١٤
- رسائل أنطونيو غرامشي ترجمة الجزء الأول من ثلاث أجزاء عن دار طوى للنشر.٢٠١٤
- شارك في عدد من الندوات والمؤتمرات الجامعية
- وترجمت قصصه إلى الفرنسية والبرتغالية والإسبانية.
- سيصدر له
- بانكو رواية هنري شاربير عن دار طوى
- رسائل أنطونيو غرامشي الجزء الثاني والثالث عن دار طوى.



هذه السلسلة:

للكويتيين تجربة مبكرة في المسرح، فقد أدرك رواد العمل الثقافي المستنيرون أهمية دوره الحيوي وما يمكن أن يقدمه من تطور وتنمية لمجتمعهم، وعلى الرغم من اقتران انطلاقة المسرح الأولى بالمؤسسة التعليمية (المدرسة) مع بداية ثلاثينيات القرن الماضي، فإنه لم يكن مسرحا تعليميا تربويا فقط، بل كان مسرحا يشارك بنصوص جادة، قدم بعض قضايا المجتمع والحياة العامة إلى جانب تناوله أمجاد العروبة وتاريخها الإسلامي، وامتدت عروضه خارج أسوار المدرسة خلال العطلات الصيفية وخارج الوطن بصحبة الدارسين في القاهرة في بيت الكويت.

وظلت الدولة على اهتمامها بهذا الفن وتشجيعه ورعايته بالتمويل والإشراف بعد انتقال مسؤوليته إلى دائرة الشؤون الاجتماعية، وتخصيصها إدارة للمسرح والفنون ورعاية شؤون الفرق المسرحية، حتى انتقلت إلى وزارة الإرشاد والأنباء (وزارة الإعلام في ما بعد)، وتطور معهد الدراسات المسرحية إلى معهد عال لدراسة الفنون المسرحية أكاديميا.

وفي سبيل تنمية الوعي الفني المسرحي وإثرائه فكريا وأدبيا، ارتأت الوزارة إصدار ونشر سلسلة من المسرحيات العالمية المترجمة، لكبار الكتاب المتميزين على الساحة المسرحية العالمية، وأن تكون ترجمتها للعربية عن اللغة الأصلية للنص المسرحي، وتخضع للتحكيم العلمي، وكان يشرف عليها الشاعر الراحل أحمد العدواني، والدكتور محمد موافي أستاذ الأدب الإنجليزي، والمسرحي الكبير زكي طليمات، وصدر العدد الأول من سلسلة «من المسرح العالمي» في أكتوبر عام ١٩٦٩





يحمل عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم» للكاتب الغواتيمالي مانويل غاليتش، وترجمة الدكتور محمود علي مكي، وتوالى صدورها إلى أن بلغت ٣١٣ عددا حتى عام ١٩٩٨، بعد أن انتقلت مسؤولية إصدار السلسلة إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وقد تناولت نحو ٤٢٠ مسرحية عالمية (مع ملاحظة أن بعض الأعداد قد اشتمل على أكثر من مسرحية)، ولكل مسرحية مترجم ومراجع ودراسة تحليلية فنية ونقدية شملت خصائص النص وكاتبه.

عندما قرر المجلس الوطني في نوفمبر ١٩٩٨ دمج هذه النصوص المسرحية العالمية المترجمة ضمن نصوص لأعمال أدبية أخرى مختلفة بين القصة والرواية وأدب الرحلات والسير الإبداعية، وصدرت تحت عنوان «إبداعات عالمية»، وبعد مضي تسعة أعوام على ذلك، أبدى كثير من المهتمين بشؤون الحركة المسرحية في البلاد وخارجها الشوق إلى إعادة طباعة بعض هذه النصوص المسرحية الإبداعية المختارة.

لقد اعتبرت سلسلة «من المسرح العالمي» أضخم مشروع قومي عربي من منظور الترجمة والتركيز على مجال فني متخصص واحد، وإنه ليسعد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب إعادة هذا الكنز المفقود إلى أيدي عشاق المسرح وهواته في الكويت ومختلف أرجاء الوطن العربي، في هذا الإصدار الثاني الذي بدأ بإعادة طبع رائعة شكسبير «العين بالعين».

الأمانة العامة

وكلاء التوزيع

الدولة	وكيل التوزيع الحالي	العنوان	تليفون	فاكس
الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	الشويخ – الحرة – قسيمة 34 – الكويت – الشويخ – ص.ب 64185 – الرمز البريدي 70452	24826820/1/2 24613872 /3	24826823
الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	Emirates Printing, Publishing & Distribution Company Dubi Media City/ Dubai UAE P.O Box: 60499	00971 242629273	00971 42660337
السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	المملكة العربية السعودية – الرياض – حي المؤتمرات – طريق مكة المكرمة – ص.ب 62116، الرمز البريدي 11585	00966 (01) 2128000	00966 (01) 2121766
سورية	المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات	سورية – دمشق – البرامكة	00963 112127797	00963 112128664
مصر	مؤسسة دار أخبار اليوم	جمهورية مصر العربية – القاهرة – 6 شارع الصحافة – ص.ب 372	00202 25782700-25782632	00202 25782632
المغرب	الشركة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر	المغرب – الرباط – ص.ب 13683 – زنقة سجلماسة – بلفدير – ص.ب 13008	00212 522249200	00212 522249214
تونس	الشركة التونسية للصحافة	تونس – ص.ب 719 – 3 نهج المغرب – تونس 1000	00216 71322499	00216 71323004
لبنان	مؤسسة نعنوع الصحفية للتوزيع	لبنان – بيروت – خندق الغميق – شارع سعد – بناية فواز	00961 1666314/5 01 653259	00961 1653260
اليمن	القائد للنشر والتوزيع	الجمهورية اليمنية – صنعاء	00967 2/3201901	00967 1240883
الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	عمان – تلاع العلي – بجانب مؤسسة الضمان الاجتماعي	00962 65300170 - 65358855	00962 65337733
البحرين	مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف	البحرين – المنامة – ص.ب 10324	00973 17 480801	00973 17 480819
سلطنة عمان	مؤسسة العطاء للتوزيع	ص.ب 473 – مسقط – الرمز البريدي 130 – العذيبة – سلطنة عُمان	00968 24492936	24493200 00968
قطر	دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع	قطر – الدوحة – ص.ب 3488	00974 4557809/10/11	00974 44557819
فلسطين	شركة رام الله للنشر والتوزيع	رام الله – عين مصباح – ص.ب 1314	00970 22980800	00970 22964133
السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	السودان – الخرطوم – الرياض – ش المشتل – العقار رقم 52 – مربع 11	002491 83242702	002491 83242703
الجزائر	شركة بوقادوم للنقل وتوزيع الصحافة	Cite des preres FARAD.lot N09. Constantine. Algeria	00213 (0) 31909590	00213 (0) 31909328
العراق	شركة الازدهار للتوزيع	Al Izdihar (alizdihar_co@yahoo.com)	-	-
نيويورك	Media Marketing	Long Island City. NY 11101 - 3258	00718 4725488	00718 4725493
لندن	Universal Press	Universal Press & Marketing Limitd	(0) 0044 2087499828 0044208 7423344	44208 7493904

سعر النسخة

الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي	نصف دينار
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص. ب: ٢٨٦٢٣ - الصفاة - الرمز البريدي ١٣١٤٧

دولة الكويت